

ليبيا القديمة والحضارات الأفروآسيوية

فصلية تصدر عن الدار العربية للكتاب ومركز الدراسات الحضارية

المجلد الأول، العدد الأول - ربيع 2024

الفن الصخري ومعالم الهولوسين في وادي الآجال

اللغة وأنظمة الكتابة في ليبيا القديمة

القبائل الليبية ومصر القديمة... علاقةُ علاماتِ الاستفهام

نقوش ما قبل التاريخ في جبال العوينات... أسئلة كثيرة وإجابات قليلة

أميرة التمحو





امرأة غدامس

اكتشفت هذه اللوحة (O. Bates, *The Eastern Libyans, an Essay*, 1914, 128) في مدينة غدامس، لهذا عُرفت باسم امرأة غدامس، ومن المرجّح أنها تعود إلى فترة ما من أواخر الدولة الحديثة في مصر (1292- 1077 ق.م). تختلف آراء المؤرخين حول ماهية هذه اللوحة فمنهم من رأى أنها تمثل نسَّاجة تعمل على النول، ويعتقد آخرون أنها أمام مرآة، كما أن طريقة تصفيفها لشعرها تبدو لافتة للنظر وتعطي مثالاً على عناية الليبيات بأنفسهن في ذلك الزمن.



ليبيا القديمة والحضارات الأفروآسيوية
المجلد الأول، العدد الأول - ربيع 2024

□□□

فصلية تصدر عن الدار العربية للكتاب ومركز الدراسات الحضارية
بالتعاون مع حلقة الدراسات الأفروآسيوية

□□□

مجلة آجال مخصّصة لدراسات وأبحاث ليبيا القديمة وتاريخ الثقافات الأفروآسيوية، تنشرها الدار العربية للكتاب ومركز الدراسات الحضارية (CCS)، بهدف تعزيز البحث العلمي في علم الآثار وتاريخ السياقات الاجتماعية والثقافية واللغات القديمة في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا.

توجَّه المراسلات إلى إدارة التحرير على العنوان التالي:

مجلة آجال، شارع عمر المختار، إدارة الكتاب، المطابع الحكومية، طرابلس

أو على بريد هيئة التحرير: ajal@markez.info أو ajalbarid@gmail.com

□□□

ترسل طلبات الاشتراك والاستفسارات عن نقاط التوزيع إلى alarabiabooks@gmail.com

□□□

محتويات العدد لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو الناشر

□□□

يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية، ولا يتّصل بالأهمية العلمية أو بمرتبة المؤلف الأكاديمية

□□□

ISSN : 2795-9465 (PRT), 42795-9473 (ONLN)
NSSN: 1318

الترقيم الدولي: 978-9959-1-2690-0

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحّد - 2024

9090509 - 9096379 - 9097074

تمت الطباعة في مطابع شركة أكتيف للطباعة والنشر - تركيا

في هذا العدد

□ تقديم 4
□ الفن الصخري ومعالم الهولوسين في وادي الآجال، أمكنة متغيرة
تيرشيا بارنت وماريا غواغنن ، ت: عبدالغفار الأطرش 8
□ اللغة وأنظمة الكتابة في ليبيا القديمة
عبدالمنعم المحجوب 49
□ القبائل الليبية ومصر القديمة... علاقة علامات الاستفهام الكبرى
الصديق بودوراة المغربي 82
□ التواريخ التسلسلية SD في مصر ما قبل الأسرات
ستان هندريكيس، ت. عبدالغفار الأطرش 99
□ الملكة أحمس... أميرة التمحو
معاذ السايح 104
□ إصدارات جديدة
التحرير 108
□ اختصارات واصطلاحات 111

القسم غير العربي

□ نقوش ما قبل التاريخ في جبل العوينات، أسئلة كثيرة وإجابات قليلة
أندريش زبوراي 6

تقديم

بعد تجربة بنّاءة في مسعى التعاون بين الدار العربية للكتاب (مؤسسة ثقافية ليبية-تونسية تأسست سنة 1973)، ومركز الدراسات الحضارية (مؤسسة بحثية مستقلة تأسست سنة 2005)، جرى الاتفاق (أقتبس) «على تضافر المؤسستين في العمل معاً، وتعاونهما من أجل تفعيل المشهد الثقافي والمعرفي والعلمي ودعم المشاريع البحثية الجادة، محلياً وإقليمياً»، وقد أسفر تعاونهما المثمر «بهدف تعزيز البحث العلمي في التراث القديم وتاريخ السياقات الاجتماعية والثقافية المشتركة في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا» على «إصدار مجلة فصلية تعنى بتشكّل الهوية الجامعة في شمال أفريقيا والشرق الأدنى، وتنشر أبحاثاً ودراسات متخصّصة في موضوعات التاريخ القديم والتحولات الحضارية، بالتركيز على علم الآثار واللغات القديمة والجغرافيا التاريخية وما يتصل بذلك من حقول علمية»، و«تركِّز المجلة ضمن ذلك على تاريخ الثقافات الأفروآسيوية في ما يتصل بليبيا القديمة» (انتهى الاقتباس).

هذا هو المَخبَر الذي أنتج هذه المجلة، أما عنوانها، فقد أُختير اسم «آجال» بدلالتين متّصلتين، الأولى لغويةٌ محض حيث تحيل الكلمة إلى التواريخ المنقضية، والثانية من باب استلهام ماضي وادي الآجال الذي يعدّ مثالاً عظيماً يختصر تضاعيف الأزمنة؛ من العصور الجيولوجية، إلى العصور الحجرية القديمة، مروراً بمسار حافل من التحولات التاريخية، إلى أن أصبح مسرحاً يحتضن نشأة المملكة الجرمنتية ونفوذها في الصحراء الكبرى، متوسّطاً شمال الصحراء وجنوبها، وفيه نرى من المعالم الجيولوجية والبقايا الأثرية والشواهد النصية والأيقونية... ما يجعلنا نأخذه مثالاً حياً عن اهتمامات هذه المجلة وما تُقبِل على نشره من موضوعات.

إن وادي الآجال – مثل أمكنة ومواقع أخرى في شمال أفريقيا – مكنزٌ حضاريّ

مهمّ، وهو صورة مصغّرة عن عصور ليبيا القديمة، ولا نعني «ليبيا» بحدودها الجغرافية المعروفة الآن، أي الأرض التي أعلنت إيطاليا كيانَها السياسي بعد احتلالها عام 1911، بل «ليبيا القديمة» التي تمتد وفق التقليد الهيرودوتي من غرب النيل شرقاً إلى جزر الخالدات غرباً.

يكمن وراء إصدار «آجال» عدة أهداف متّصلة:

1. تقديم قراءات جديدة في تاريخ ليبيا القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع الميلادي، مع التركيز على الحضارة الليبوفينيقية في شمال أفريقيا وحوض المتوسط، وما يتصل بها من الحضارات المصرية والإغريقية والرومانية وممالك نوميديا وموريتانيا الطنجية وموريتانيا القيصرية والصحراء الكبرى. وتشي عبارة «قراءة جديدة» بضرورة التحليل الناقد الذي يمكن إجراؤه على الكثير من مسلّمات البحث التاريخي والخلاصات الأركيولوجية، وهي تبدو يقيناً شكّل أساساً متيناً مترابط الأجزاء لا يكاد يُعاد فيه النظر إلا لماماً.

2. كتابة وقائع دقيقة عن ماضٍ حافل تظهر تفاصيله ودقائقه بين حين وآخر فتضيف بعض الجديد، أو تعيد ترتيبَ بعضٍ قديم، عن طريق مقاربة متّصلة Conjunctive Approach تجمع الجزئيات المحلية والإقليمية وتفسّرها ضمن مشهد حضاري عام.

3. التوفيق الاصطلاحي وتوحيد المفردات العلمية، وهو ما تظهر ضرورته على نحو جليّ في عدم التكافؤ، بل التباين أحياناً، بين السجلات الكرونولوجية حتى منتصف القرن العشرين ومسارد البيانات المتجددة. هذه مسألة تكمن في عمق البحث العلمي وتؤدي إلى استنتاجات إشكالية، وهي تعود إلى أسباب عديدة أساسها اختلاف الوعي باللغة العربية ونمط استخدامها، وتفضيل طرائق دون أخرى في اشتقاق المفردات ونحتها أو تحميلها دلالات علمية حديثة ومحدّدة، والأمر ليس مرذولاً في بعضه، لأنه يعبّر عن غنى اللغة العربية وطواعيتها الدلاليّة، لولا أنه يؤدي في الكثير من الأحيان إلى استنتاجات إشكالية ويُحدث نوعاً من التشتّت، ويقع على

عاتق المترجمين عبء كبير في ذلك، فضلاً عن إن ترميم هذا الأساس وإعادة تنظيمه عبء أكبر لا ينزاح إلا عن طريق تكاثف جهود الاختصاصيين وتوافقهم على نسق منهجي ثابت وملزم.

4. الاعتماد من الناحية المنهجية على توظيف آليات الحقول العلمية برؤية بينيّة Interdisciplinary تلتقي فيها نتائج علم الآثار، وعلم البيئة القديمة، والجيومورفولوجيا، والانثروبولوجيا، والاثنوغرافيا، والجغرافية التاريخية، ودراسة اللغات القديمة، وغير ذلك من التخصصات، بالإضافة إلى فنون تقنية وتطبيقات علمية عديدة مثل الرسم والتصوير المسامي الضوئي والتحليل الكربوني وبحوث الحمض النووي وبحوث الجينوميات القديمة، حيث تتضافر مختلف العلوم من أجل غاية واحدة هي منح علم الآثار القدرة على استعادة الماضي بكثافة حيّة.

5. بحث علاقة التحولات الحضارية في شمال أفريقيا بما نسميه «المهد الأفروآسيوي» الذي تخلّق في سومر ومصر، بحوضيه الجغرافيين التاريخيين، الأول هو ما نعرفه بالشرق الأدنى وجنوب غرب آسيا، والثاني شمال أفريقيا والصحراء الكبرى، وكان كياناً متصلاً وُلدت فيه أولى الحضارات في العالم، وعَرفت تطوّراً حضارياً غير مرتدّ، وهو المجال الذي تنتمي إليه ليبيا القديمة.

6. الاستفادة من تراث علم الدراسات المصرية وعلم الآثار الإفريقي، ونظيرهما المتوسّطي، في تلمّس معالم علم الدراسات الليبية Libyology، مدركين أن السجّلات الأركيولوجية في شمال أفريقيا، بما تحفل به من تصنيفات وشواهد وأدوات ووثائق، وممكنات أيضاً، تبدو مستقلّة منهجياً من حيث النشأة والتطوّر عن مثيلاتها شرقاً وجنوباً وشمالاً، وإن كانت متصلةً بها اتصالاً وثيقاً في المسارات العامة الكبرى.

هذا في المجمل هو الإطار العام الذي يحيط بطبيعة المجلة، وما نستشرفه عن طريق إصدارها من أبعاد، مدركين أن المرجع الوحيد الذي نُنصت إليه إنما هي «شواهد صامتة» في الأساس لا تكاد تفصح، ولكن القليل الذي تُخبرنا به مذهلٌ

حقاً، وإنها لصادقةٌ لا شكّ في ذلك، لأن «الحجر لا يكذب»، كما قال الأستاذ الراحل علي فهمي خشيم، «مهما قلّبناه، ومهما غيّرنا الزوايا التي نراه منها»!

**

أخيراً... لا يسعني في ختام هذا التقديم إلا أن أتوجّه بالشكر والعرفان إلى فريق «آجال» على ما أولوه من ترحيب واهتمام منذ البداية بمشروع هذه المجلة، وأخص بالذكر المدير المسؤول عبدالمنعم اللموشي، رئيس مجلس إدارة الدار العربية للكتاب، وأعضاء الهيئة الاستشارية، وهم الأفاضل: محمد الدويب، محمد الجراري، عبدالحفيظ الميار، محمد عيسى، خالد الهدار، كمال ارزيق، الصدّيق بودوارة، الشريف حامد، أحمد سعد امراجع، وعبدالله المحمودي؛ والأمر موصول بالمثل إلى فريق المترجمين على تعاونهم الكبير، وإلى عصام العبيدي على ما يضطلع به من إشراف فني وتنفيذ ومتابعة.

فلهم جميعاً كل التقدير والعرفان.

ع. المحجوب



الفن الصخري ومعالم الهولوسين في وادي الآجال

- أماكن متغيرة -

تيرشيا بارنت & ماريا غواغنن

Tertia Barnett & Maria Guagnin

ترجمة: عبدالغفار لطرش

مقدمة

تشتهر الصحراء الكبرى بتركّزات كثيفة من الفنون الصخرية المنتشرة على مساحة جغرافية شاسعة، وقد تم على مدى القرنين الماضيين تسجيل آلاف الصور المرسومة والمحفورة في أجزاء مختلفة من الصحراء الكبرى، كما يجري التعرف على المزيد منها كل عام. وقد ظل توطّن البشر في هذه المنطقة متنقلاً إلى حد كبير حتى يومنا هذا، ويوفر الفن الصخري مصدراً قيماً من الدلائل على نشاطٍ ما قبل-تاريخي في بيئة غالباً ما تكون البقايا الأثرية الأخرى نادرة فيها.

إن الفن الصخري لم يوجد عشوائياً، بل أُنشئ في مواقع معينة أُختيرت لأسباب ثقافية محدّدة،[1] ويمكن إلقاء نظرة متفحصة على الحوافز والقيود والتصوّرات التي ربما أثّرت على اختيار المكان عن طريق دراسة توزيع مواقع الفن الصخري بالنسبة إلى سياقاتها الأثرية والطبوغرافية والبيئية. وبالتالي، فالاختلافات في أنماط توزيع الفن الصخري مع مرور الوقت، يمكن أن تلقي الضوء على العلاقات المتغيرة بين الناس ومعالم الطبيعة،[2] في حين أن الكثير من عدم اليقين والعديد من الآراء الخلافية لا تزال تلقي بظلالها على التسلسل الزمني وتصنيف الفن الصخري الصحراوي، إلا أنه يُعتقد بشكل عام أنه قد نشأ على مدى ما يقرب من 9000 عام

1. Bradley 2000; Inuold 2000; Chappindale & Nash 2004
2. Taçon 1990; Taçon & Chippindale 1998; Hyder 2004

من عصر الهولوسين المبكر حتى الآجال الأخيرة.[1] وشهدت منطقة شمال أفريقيا خلال هذه الفترة تقلبات مناخية كبيرة، ثم تحولت الظروف البيئية من السافانا إلى الصحراء خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً. ومن المرجح أن هذه التغيرات السريعة كان لها تأثير عميق على العلاقة بين المجتمعات الصحراوية والمعالم الطبيعية، وهو ربما ما انعكس على توزيع مواقع الفنون الصخرية.

ش.1: خريطة مساك والمعالم الطبيعية المحيطة بها، تظهر سلاسل الجبال ومواقع النقوش البارزة (رمادي غامق)، و"البحار" الرملية (رمادي فاتح) والواحات (رمادي)، وتشير إلى موقع منطقة مسح الفن الصخري الموضح في الشكل 2.

سوف نتفحص في هذه البحث استخدام المعالم الطبيعية والتكيّف مع التغيرات المناخية والبيئية في الصحراء الوسطى من خلال عدسة الفن الصخري. ويعتمد بحثنا على بيانات جديدة تم جمعها عن طريق المسح المنهجي وتسجيل النقوش الصخرية في وادي الآجال، جنوب غرب ليبيا[2] (الشكل 1). ونركّز على قرابة 8000 سنة تمتد من عصر الهولوسين الأوسط إلى المتأخر.

لقد تمت دراسة أنماط الاستيطان واستراتيجيات التنقّل المتصلة بهذه الفترة من الناحية الأثرية داخل الوادي،[3] وفي المناطق الواقعة إلى الجنوب،[1] وفي

1. Mori 1998; Van Albada 2000; Jelínek 2004; di Lernia, Gallinaro 2010; Gauthier 2011; Zerboni 2012
2. Barnett 2005, 2006, 2009
3. Mattingly 2003

الغرب،[2] وتوفر هذه الدراسات سياقاً واسعاً يستند إليه تحليلنا.

في هذا البحث، سوف تُقدّر اختلافات مواطن الاستيطان والتنقلات عن طريق تحليل مكاني يدرس مواقع الفنون الصخرية بالنسبة إلى سياقاتها المادية والثقافية، ولكي نتمكن من رسم التغييرات في أنماط توزيع الفن الصخري مع مرور الوقت، فقد تم تطوير إطار زمني كرونولوجي واسع من التقديرات التفصيلية للأغشية الأكسيدية الملوّنة، أي الزنجار patina («ورنيش» الصحراء) كما ظهرت على النقوش المسجّلة، وأنواع الحيوانات التي صوّرتها النقوش، وموائلها المحتملة.[3]

تحديد سياقات الفن الصخري

توجد الرسومات والنقوش في معظم أجزاء الصحراء الكبرى الحالية أينما كانت هناك أسطح صخرية مناسبة، من الصحراء الغربية وموريتانيا إلى الصحراء الشرقية في مصر،[4] وتسود صور الحيوانات البرية والمستأنسة في جميع أنحاء هذه المنطقة، مع تصوير شخصيات بشرية أو مؤنسنة anthropomorphic وأشياء وصور غير تشخيصية أو تجريدية. إن النقوش منتشرة على مساحة شاسعة بما في ذلك الكتابة الليبية-البربرية Libyco-Berber، والتفيناغ الأحدث تاريخاً (وهو نسخة مكتوبة من لغة الطوارق، أي التماشق)،[5] مع كتابات لاتينية وعربية وقبطية وهيروغليفية.

وبشكل خاص تشتهر كتلة «مساك» الواقعة في منطقة فزان جنوب غرب ليبيا في الصحراء الوسطى، بنقوشها الصخرية التي تشمل بعضاً من أكبر النحتيّات وأكثرها إثارة للإعجاب في الصحراء الكبرى. و«مساك» هضبة صخرية على شكل هلال يبلغ

---

1. di Lernia 2013
2. Gallinaro 2013
3. Guaunin 2010, 2014
4. Le Quellec 2004
5 . O'Connor 1996; Boukus 1997

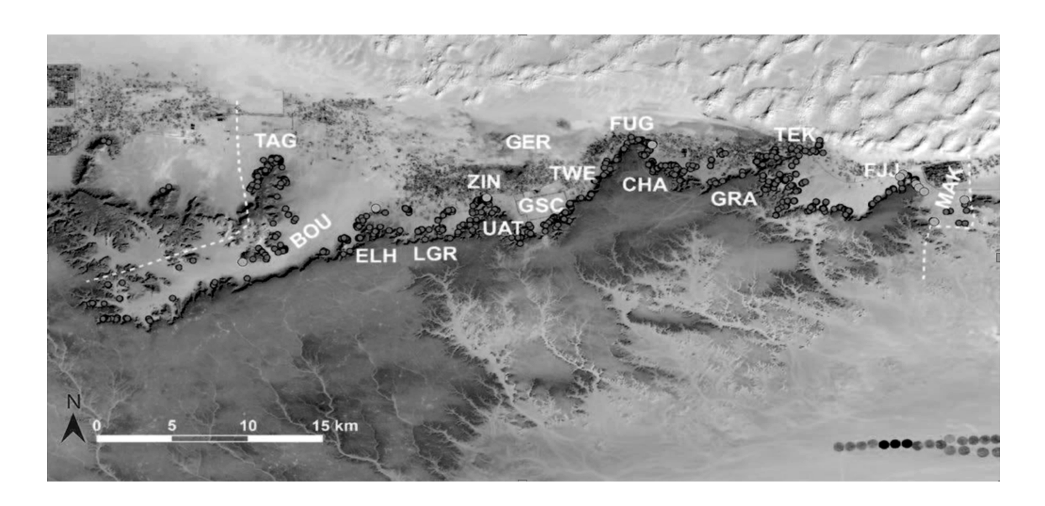
طولها 500 كيلومتر، وتتجه نحو الشمال الشرقي والجنوب الغربي، وهي متكونة من الحجر الرملي النوبي الجوراسي والطباشيري السفلي Jurassic and Lower Cretaceous Nubian sandstone[1]، (الشكل 1)، وترتفع الهضبة إلى متوسط 700 متر فوق سطح البحر، وتتميز بمنطقة صخرية مرتفعة ومتموجة بانسياب تسمّى «الحمادة»، بينما تنحدر الحافة الجنوبية الشرقية من هضبة مساك بانسياب إلى المدرجات المسطحة في وادي برجوج وحقول الكثبان الرملية في إدِّن مرزق.

قَطعت الحمادة على جانبها الجنوبي الشرقي الكثير من الأخاديد وقيعان الأنهار الجافة (الوديان) بشكل عميق، وتوجد هنا صور ونقوش غائرة في كتل صخرية بارزة تبطن حواف هذه الأخاديد، وقد تم لفت انتباه العالم الغربي أول مرة إلى المنحوتات في هذه المنطقة (يشار إليها لاحقاً باسم «مساك الجنوبي») عن طريق المستكشف الالماني هاينريش بارث خلال رحلة استكشافية بريطانية في خمسينيات القرن التاسع عشر.[2] ومنذ ذلك الحين جرى تسجيل عدة آلاف من النقوش في منطقة مساك الجنوبي، ما جعلها واحدة من أكثر مناطق الفن الصخري كثافة في شمال أفريقيا،[3] وعلى النقيض من التضاريس الانسيابية على الجانب الجنوبي من مساك، فإن الطرف الشمالي من الهضبة ينتهي فجأة بجرف صخري شديد الانحدار يرتفع إلى 180 متراً فوق مستوى الوادي، ويحدّد هذا الجرف الحافة الجنوبية من وادي الآجال الذي تقع عند تخومه الشمالية كثبان رملية في منطقة إدِّن أوباري (الشكل 1)، ويظهر الجرف أشبه بحاجز طبيعي واضح بين الوادي والمناطق التي تقع إلى الجنوب، وتوفر الممرات الطبيعية القليلة التي تعبره قنوات مهمة تسهّل الحركة والتواصل.

تم تسجيل المنحوتات التصويرية أول مرة في وادي الآجال في عشرينيات القرن

1. Furon 1963
2. Barth 1965
3. Lutz & Lutz 1995; LE Quellec 1998; Van Albada & Van Albada 2000; di Lernia & Gallinaro 2010, Gallinaro 2012, Biauetti 2013

الماضي على الرغم من ملاحظة وجود نقوش تفيناغ قبل قرن من ذلك،[1] حيث سُجّل بحلول نهاية القرن العشرين حوالي 30 لوحة منقوشة من تسع مناطق منفصلة (الشكل 2)،[2] وتُظهر الصور الموجودة في الوادي العديد من أوجه التشابه مع تلك الموجودة في مساك الجنوبي، وتعدّ جزءاً من تقاليد النحت نفسها.



ش.2: . صورة القمر الصناعي لاندسات توضح مواقع جميع اللوحات التي تم تسجيلها ضمن مشروع «وادي الآجال للفنون الصخرية» (دوائر رمادية غامقة) وجميع اللوحات المنشورة سابقاً (دوائر رمادية فاتحة)، ويشار إلى الامتداد الشرقي والغربي من منطقة مسح الفن الصخري بخطوط بيضاء متقطعة، كما يشارإلى المناطق بثلاثة حروف وفق «مشروع فزان»، وتمثل هذه الحروف أسماء القرى المحلية أو المعالم الجغرافية (Mattingly 2007)، على النحو التالي: TAG = تاغلت، BOU = وادي بوزنة، ELH = الحطية، LGR = القريفة، ZIN = زنككرا، UAT =وتوات، Ger = جرمة، GSC = جرف جرمة، TWE = تويش، FUG = فوقار، CHA = الشريق، GRA = قراقرا، TEK = تيكركيبة، FJJ = فجيج، MAK = باب مكنوسة.

بيئات متغيرة في وادي الآجال

كان وادي الآجال محور أبحاث أركيولوجية وجيومورفولوجية موسّعة منذ عقد الخمسينيات في القرن العشرين عن طريق أعمال تشارلز دانيلز Charles Daniels، ثم في الآونة الأخيرة ضمن مشروع فزان Fazzān Project ومشروع هجرات الصحراء

1. ZolI 1926, 1927; Brice-Lockhart & WrIuht 2000
2. Graziosi 1942; Pauphillet 1953; Sattin 1965; Pesce 1968; Zieuert 1969; Le Quellec 1985, 1993; Jelínek 1994

Desert Migrations Project.[1] وقد أنتجت هذه الدراسات سجلات مفصلة عن المناخ القديم والتوطن البشري في الوادي والمناطق المحيطة به، ما سمح بإعادة بناء المشهد المادي والثقافي المتغيّر في فترة الهولوسين الوسطى والمتأخرة بشيء من التفصيل.

تُظهر السجلات البيئية القديمة أنه في عصر الهولوسين المبكر والأوسط، خلال «الحقبة الإفريقية الرطبة» African Humid Period، كان المناخ في معظم أنحاء الصحراء أكثر رطوبة بشكل ملحوظ مما هو عليه اليوم.[2] كانت البيئة في الصحراء الوسطى في تناقض صارخ مع مشهد الصحراء اليوم، مع وجود موارد مائية دائمة ونظام بيئي من السافانا يتميز بمراع واسعة وأشجار متناثرة.[3] وتشير الرواسب البُحَيْرِيّة la custrine في وادي الآجال إلى أن بحيرة كبيرة شغلت معظم الوادي في الفترة ما بين 9000 و6000 ق.م. تقريباً،[4] حيث وصلت الشواطئ الجنوبية من هذه البحيرة القديمة إلى جرف مساك، ووصلت شواطئها الشمالية إلى الكثبان الرملية في إدّن أوباري (انظر الشكل 6)، وكان منسوب المياه أعلى بكثير مما هو عليه اليوم، وشكلت الينابيع المنبثقة من طبقات المياه الجوفية في قاعدة الجرف بحيرات ومستنقعات أصغر في المنطقة، وقد وصلت الحقبة الأفريقية الرطبة في الصحراء الوسطى إلى ذروتها حوالي 6000 ق.م. وأصبح المناخ بعد ذلك أكثر جفافاً على نحو تدريجي، فانخفضت مستويات البحيرة في الوادي شيئاً فشيئاً، وبدأت المستنقعات تجف.[5]

تشير شواطئ بحيرة وادي الآجال القديمة إلى أنها وصلت إلى مستوى منخفض حوالي 4000 ق.م. واستمرت مستويات المياه بعد هذا التاريخ في الانخفاض، ما أدى إلى تحويل البحيرة إلى شبه مالحة ربما تكون قد جفّت موسمياً. وبحلول عام

---

1. Brooks et al. 2003; Mattingly 2003, 2007; Drake et al. 2004, 2011; Mattingly et al. 2010.
2. Gasse et al. 1990; Demenocal et al. 2000; Wendorf et al. 2007; Lizine et al 2011
3. Mercuri et al. 1998; Trevisan GrandI et al. 1998; Mercuri 2008
4. Drake et al. 2011
5. Drake et al. 2004, 2011; Cremaschi 1998; Cremaschi & Zerboni 2011; Lizine et al. 2011

1500 ق.م. تبخرت البحيرة، تاركة رواسب مالحة مسطحة (سبخة)، وحوالي عام 1000 ق.م. اختفت آخر الينابيع على امتداد قاعدة الجرف، أما بحلول عام 500 ق.م. فقد اكتمل تصحّر المنطقة،[1] ومع ذلك، ظلت المياه الجوفية قريبة نسبياً من سطح الوادي حتى وقتنا الحاضر، ودعمت نمو الغطاء النباتي، وزراعة الري، والاحتياجات المائية للسكان المقيمين على نحو دائم.

بدأت المرحلة الرعوية الوسطى Middle Pastoral period حوالي 5000 ق.م. في الصحراء الوسطى، بالتزامن مع الاتجاه المستمر نحو الجفاف،[2] وتتوافق المراحل الرعوية المتأخرة والأخيرة Late and Final Pastoral periods (بين 3800-1000 ق.م. تقريباً) مع التحول إلى ظروف أكثر جفافاً بشكل كبير في الصحراء الوسطى ومع الانخفاض الحادّ في المياه السطحية المتاحة في الوقت الذي اختفت فيه البحيرات والينابيع من المنطقة. وقد شهدت هذه المرحلة الرعوية الطويلة اختلافات كبيرة في أنماط الاستيطان والتنقّل، واستراتيجيات العيش، والطقوس الجنائزية، والثقافة المادية.[3]

مع بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، أصبحت تجارة المسافات الطويلة والزراعة المستقرة المعتمدة على تقنية الري بدائل متاحة أمام الرعاة والمجتمع البدوي، وشكلت أساس مملكة الجرمنت الناشئة. وبحلول عام 500 ق.م. تقريباً، تمركزت الحضارة الجرمنتية في مدينة جرمة في وادي الآجال. وكانت مدعومة بنظام ريّ واسع (الفجارة)، وبشبكة تجارية منتشرة عبر الصحراء الكبرى،[4] ومع تراجع مملكة الجرمنت في النصف الثاني من الألفية الأولى ب.م. انتهت السيطرة على التجارة عبر الصحراء وتحول وادي الآجال من مركز قوة إلى نقطة انطلاق على امتداد طرق التجارة لمسافات طويلة.[5]

1. Drake et al. 2004, 2011
2. Cremaschi & dI Lernia 1999; Drake et al. 2004, 2011; Cremascchi & Zerboni 2011
3. di Lernia & Manzi 2002; di Lernia 2006; di Lernia & Tafuei 2013; di Lernia et al. 2013
4. Mattingly 2003
5. Mattingly 2006

مشروع وادي الآجال للفنون الصخرية

كانت عمليات الاستطلاع الأولية في وادي الآجال عامي 2000 و2002، وهي جزء من مشروع فزان Fazzān Project، قد حدّدت تكرّر المنحوتات على الصخور والحجر الرملي البارز على طول حافة الجرف بوتيرة عالية على نحو لم يكن متوقعاً. وأظهرت الملاحظات المبنية على هذا العمل أنماطاً واضحة في توزيع المنحوتات مكانياً، مع تجمّع ما يتعلق ببعض السمات الطبوغرافية والمسارات الطبيعية،[1] كما أظهرت عينات من مناطق إضافية أنه من المرجح أن يكون الفن الصخري أكثر انتشاراً في الوادي.

في عام 2004، بدأ مشروع وادي الآجال للفنون الصخرية Wadi al-Ajal Rock Art Project من أجل توسيع نطاق البحث الأولي عن طريق مسح منتظم لجميع الأسطح الصخرية المنحوتة وسياقاتها المادية الفيزيائية داخل منطقة محددة،[2] وفد غطى المسح قطاعاً بطول 60 كيلومتراً من الجرف يمتد من الشرق إلى الغرب من مكنوسة إلى تاغلت (الشكل 2)، ويتوافق هذا القسم مع منطقة المسح الرئيسية لمشروع فزان Fazzān Project ويؤكد إمكانية ربط الفن الصخري بالبيانات الأركيولوجية والجيومورفولوجية التفصيلية الناتجة عن مشروع فزان.

تم فحص الأسطح الصخرية فحصاً نظامياً داخل منطقة المسح على مدى أربعة مواسم حقلية ميدانية بين عامي 2004 و2009، وسُجّل كل سطح منحوت بالتفصيل، كما سُجّل موقع كل لوحة باستخدام وحدات GPS المحمولة بمتوسط دقة ±5 متر.[3]

أُخذت جميع الدلائل على أعمال الأسطح الصخرية بما لها من أهمية وتم تسجيلها، وشمل ذلك الرسومات التي يمكن التعرّف عليها أو الرسومات الجزئية

1. Barnett 2001, 2002; Barnett with Mattingly 2003
2. Barnett 2005
3. Barnett 2005, 2006, 2009

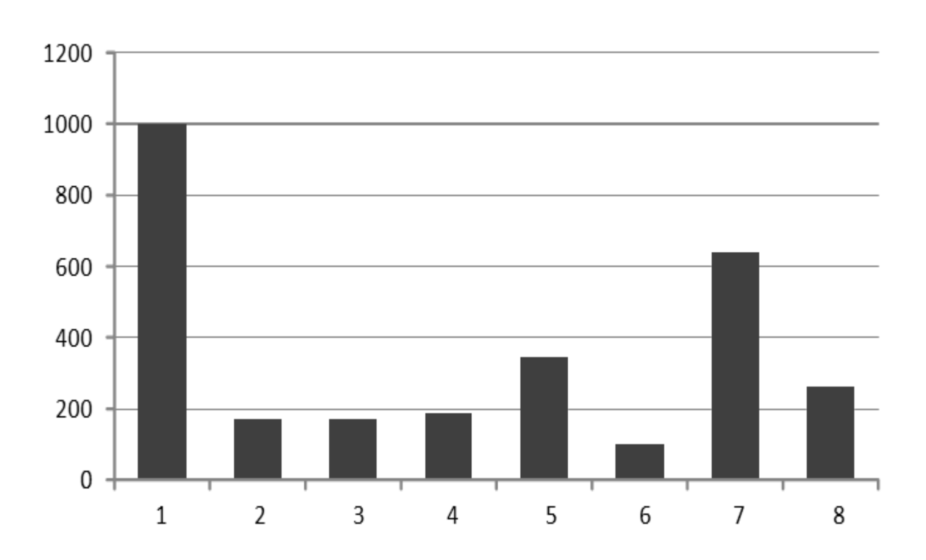
(التشبيهية figurative وغير التشبيهية أو التجريدية)، والحُفَيرات الكأسية cup marks، والنقوش، وغيرها من أشكال التفاعل العمدي مع الأسطح الصخرية مثل التخديدات العميقة، وتجويفات الأرضية، وتلميع السطح، والنقر. وكما هو الحال مع أجزاء أخرى من الصحراء، تصوّر الأشكال التي أمكن تحديدها مجموعة واسعة من الأنواع الحيوانية، سواء الوحشية أو المستأنسة (الشكل 5 أ-د)، والأشكال البشرية والمؤنسنة، وأشياء وأدوات مثل العربات والرماح والصنادل، والنقوش غير التشبيهية non-figurative أو التجريدية، بما في ذلك الخطوط والدوائر والزخارف الهندسية. كما تم التعرف على العديد من الكتابات المنقوشة، معظمها بالخط الليبي-البربري Libyco-Berber والتفيناغ (الشكل 5 د) مع نسبة أقل من الكتابات العربية والرومانية.

تم تسجيل ما مجموعه 2012 لوحة[1] خلال عملية المسح، وتميزت العديد من اللوحات بنقوش متعددة، كما تم توثيق عدة آلاف من الأشكال التصويرية الفردية والأعمال السطحية والنقوش (انظر تفاصيل نسبة كل فئة من هذه النقوش في الشكل 3).

يمكن تصنيف طبوغرافيا الجرف في منطقة المسح بشكل عام إلى ست فئات: (1) أرض حجرية متموجة بشكل انسيابي على هضبة الجرف (الحمادة)؛ (2) أسطح صخرية كبيرة، عمودية أو قريبة من العمودية، تشكل ما يشبه واجهة علوية للجرف؛ (3) منحدرات الجرف العلوية الصخرية شديدة الانحدار؛ (4) منحدرات الجرف الأقل انحداراً، مع العديد من الكتل الصخرية والصخور القاعيّة bedrock الناتئة؛ (5) أرضية الوادي عند قاعدة الجرف وتشتمل على رمال صلبة وكتل

1. لأغراض التسجيل وحصر التقديرات في هذه الدراسة، يتم تعريف اللوحة (panel) على أنها سطح صخري منفصل مادياً، أو موجود على سطح صخري مختلف عن الأسطح الصخرية المجاورة. على سبيل المثال، عندما يكون للصخور القائمة بذاتها أو البارزة أكثر من سطح مستو واحد به نقوش، فإن تسجيل كل سطح من هذه الأسطح يكون باعتباره لوحة منفصلة (لمزيد من المناقشة حول نطاق التسجيل، انظر: Chippindale 2004).

صخرية معزولة؛ (6) نتوءات صخرية معزولة (الشكل 4). وكما هو مبين في الجدول 1، عُثر على غالبية المنحوتات في مواقع يسهل الوصول إليها، خاصة على الكتل الصخرية والصخور الناتئة على امتداد منحدرات الجرف السفلية، وعلى صخور قاع الوادي بالقرب من قاعدة الجرف، وعلى المنحدرات السفلية في معظم الجبال المفردة inselbergs ، وكانت المنحوتات، في حالات أكثر ندرة، موجودة على أسطح صخرية عمودية على امتداد الجرف العلوي في الأماكن التي شكلت نتوءات مميزة في الجرف، كما عُثر على عدد قليل من ألواح الصخر المنحوتة في الحمادة، وأغلبها كانت متجمعة في موقعين منفصلين، وكلاهما يقع على نتوءات عند التقاطع بين الحمادة والمنحدر العلوي من الجرف.[1]



ش.3: التكرار النسبي للوحات الصخرية (محور Y) التي تضم فئات النقش الرئيسية (محور X) في وادي الآجال. (1) حيوانات، (2) أشكال مؤنسنة، (3) أدوات ومواد، (4) تجريدي/ غير تشبيهي، (5) خطوط غير محددة، (6) حفيرات كأسيّة، (7) نقوش (كتابة)، (8) أشكال وأعمال أخرى على سطح الحجر.

1. Barnett with Mattingly 2003; Barnett & Roberts 2003

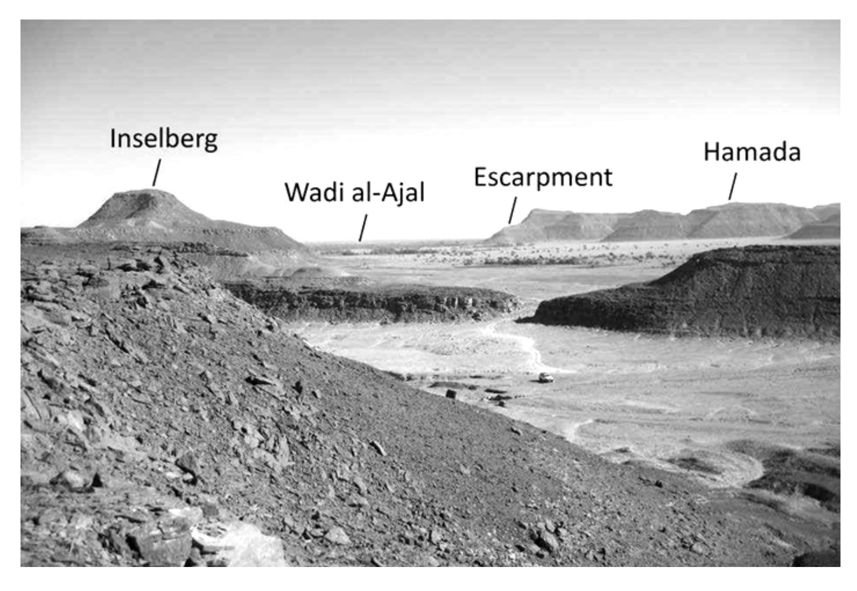
السياق الطبوغرافي	عدد اللوحات	النسبة المئوية
1. الحمادة	31	1.6
2. الجرف العلوي	93	4.6
3. المنحدر العلوي	168	8.4
4. المنحدر السفلي	1416	70.4
5. قاع الوادي	103	5.0
6. الجبل المفرد	201	10.0
المجموع	2012	100

جدول 1: نسبة اللوحات النقشية في سياقات طبوغرافية مختلفة داخل وادي الآجال.

بقاء الفنون الصخرية

تأثّر بقاء الفن الصخري بمجموعة من عمليات علم التاريخ الحفري taphonomic. حيث كان لتدهور الحجر الرملي مادياً، خاصة بفعل الرياح والمياه، تأثيرات متباينة على النقوش اعتماداً على مدى تحاتّها، وعلى التركيبة الجيولوجية الأساسية لكل سطح صخري. وتُظهر المنحوتات مستويات متفاوتة من التآكل تميل إلى أن تكون أكثر وضوحاً في الأشكال المبكرة الأقدم زمناً، ومن المحتمل أن بعض النقوش قد اختفت تماماً. كما تأثر الفن الصخري بعدد من العوامل البشرية أيضاً، خاصة على مدى 2000-3000 سنة الماضية. ومن المحتمل أن يكون استخراج الحجارة من الفترة الجرمنتية فصاعداً قد أدى إلى تدمير أو نقل بعض المنحوتات، كما تشهد على ذلك حالات نادرة من إعادة استخدام الحجر المنحوت في المباني اللاحقة، في حين أن تنقية وإعداد الأراضي لغرض الزراعة والاستيطان وبناء الطرق قد أزال نسبة صغيرة من الفن الصخري. ومع ذلك، يُعتقد أن التأثير الإجمالي لهذه العوامل بسيط نسبياً، حيث كانت غالبية الأنشطة البشرية المتطفلة تحدث بعيداً عن الجرف، وقد اقتصرت عملية استخراج الحجارة على نطاق واسع في الوقت الحاضر على موقع واحد ضمن منطقة المسح، في حين أن العمليات السابقة حدثت بشكل رئيسي خلال الفترة الجرمنتية وتركّزت على عدة

مناطق منفصلة من الجرف بالقرب من مركز الجرمنت في مدينة جرمة.[1] قد تكون السياقات الأولية لبعض المنحوتات قد تأثرت بسبب بناء العديد من المدافن الجرمنتية على امتداد حافة الجرف، لكن حجم ما تمت إزاحته ليس واضحاً، وقد حدّدت دراسة مكثّفة تفحصت عينة من الآثار الجنائزية إعادة الاستخدام المحدودة التي تعرضت لها المنحوتات في مواد المدافن الحجرية.[2]



ش.4: سياقات طبوغرافية مختلفة في وادي الآجال. (الصورة: ماريا غواغنن)

على الرغم من أن نسبة الفنون الصخرية التي بقيت حتى يومنا هذا لا يمكن قياسها بدقة، فمن المرجح أن تكون نسبة كبيرة جداً، نظراً للمستويات المنخفضة نسبياً من التدخل البشري في معظم أجزاء منطقة المسح. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المنحوتات الموجودة بشكل عام واضحة للغاية، حيث تقع الغالبية العظمى منها في مواقع مفتوحة يسهل الوصول إليها. وعلى النقيض من أجزاء كثيرة من العالم حيث يمكن للتربة والنباتات أن تحجب المنحوتات في الهواء الطلق، فمن المرجح أنه قد تم الحفاظ بشكل جيد على تكرار المنحوتات وانتشارها كما

1. Mattingly 2007
2. Barnett 2009

وُجدت في الأصل في معالم الوادي القاحلة، ويمكن بالتالي دراسة الأنماط المكانية عن طريق مسح الفن الصخري نظامياً وتسجيله، والقيام بتحليل كمّي لمجموعة البيانات الناتجة.

تطوير قاعدة بيانات الفن الصخري

قدّمت الألواح الصخرية المنحوتة التي جرى تسجيلها خلال مشروع وادي الآجال للفن الصخري Wadi al-Ajal Rock Art Project أساساً لإجراء تحليل تفصيلي يدرس أنواع الحيوانات المصوّرة،[1] وتمثّل صور الحيوانات ما يقرب من 50 % من إجمالي عدد النقوش المسجّلة (الشكل 3)، وهي فئة الأشكال التصويرية الوحيدة التي تظهر في جميع الفترات التي تتسم بوتيرة تكرار عالية على نحو مستمر، بينما تقتصر رسومات البشر أو الأشياء أو النقوش بشكل عام على العصر الجرمنتي والفترات اللاحقة، في حين تشكّل الحفيرات الكأسية cup marks والزخارف التجريدية والعلامات السطحية غير التشبيهية نسبة صغيرة نسبياً من المنحوتات الإجمالية.

تمثل الصور الحيوانية أيضاً رابطاً مهماً بين الفن الصخري والتسلسل البيئي الهولوسيني، حيث يمكن أن يرتبط تقدير موائل الأنواع المصوّرة بالظروف البيئية المتغيرة، ويمكن بالتالي استخدام توزيع نقوش الحيوانات لتحليل أنماط واسعة من طرق إنتاج الفن الصخري والتفاعل بين الإنسان والمعالم الطبيعية.

أُنشئت قاعدة بيانات قُدّر فيها بشكل فردي كلّ شكل تصويري حيواني من اللوحات المسجّلة. وكان الهدف الأساسي من هذا التصنيف تحديد السمات الحساسة بيئياً من حيث ارتباطها بكل نقش، أي من حيث نوع كل حيوان وموطنه، والزنجارpatina الموجود على كل رسم وشكل تصويري، ثم ربط هذه المعلومات بالإحداثيات الجغرافية التي وُجدت فيها اللوحات الحجرية التي تتضمن تلك

1. Guaunin 2010, 2012a

الرسومات والأشكال. ويمكن بعد ذلك رسم خرائط النقوش على أساس أنماط تلوينها، أو أنواع الحيوانات المصوّرة، أو مواطن الأنواع، وربطها بالسياقات المناخية والأثرية المتغيرة خلال عصر الهولوسين.

إنشاء سياق زمني (كرونولوجي)

كما هو الحال مع معظم الفنون الصخرية، يطرح التأريخ الدقيق الخاص بالرسومات والنقوش الصحراوية مشاكل بارزة، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى التلوث، وصعوبة استخراج المواد التي يمكن تأريخها، والقيود المفروضة على التقنيات العلمية ذات الصلة.[1] وبالنتيجة فقد طُوّر إطار زمني خاص بالفنون الصخرية في الصحراء الكبرى باستخدام وسائل غير مباشرة، بما في ذلك التقديرات الأسلوبية والتنميطية typological، وتراكب الصور، والتأريخ النسبي الخاص بالتمثيلات التي يمكن تحديدها.[2] لقد اعتمد التأريخ الكرونولوجي تقليدياً وبشكل موسّع على تسلسل من أربع مراحل طوّره هاينريش بارث عام 1855 لدراسة نقوش مساك، وجرى تطبيقه لاحقاً في منطقة واسعة من الصحراء الكبرى. يصف تسلسل بارث أسلوباً طبيعياً مبكراً لتمثيل الحيوانات البرية يتبعه تصوير الماشية المستأنسة، ثم رسومات نُفّذت بشكل فظ (غير متقن) تمثّل النعام والخيول، وهناك رسومات الجمال أخيراً.[3] تم تنقيح هذا الإطار المكون من أربع مراحل بواسطة ثيودور مونود وغيره من الباحثين الذين حددوا جواميس البوبالوس القديم Bubalus antiquus (نوع منقرض من الجاموس الأفريقي ذو قرون كبيرة منحنية)، والماشية والأحصنة والجمال بوصفها أنواعاً مميزة لكل أسلوب أو نمط فني، وأطلقوا عليها اسم بوبالين Bubaline، وبوفيديان Bovidian، وكابالين Caballine، وكاميلين Cameline، على التوالي.[4]

---

1. Zerboni 2012; & Drauovich 2000 Watchmann 2000; di Lernia, Gallinaro 2010
2. Muzzolini 2001
3. Barth 1965
4. Monod 1932; Lhote 1960; Muzzolini 1991, 2001; Lutz & Lutz 1995; Mori 1998; Van Albada & Van Albada 2000; Jelínek 2004

تم في السنوات الأخيرة تعديل هذا الإطار الزمني وتوسيعه لاستيعاب الاختلافات الإقليمية عبر الصحراء،[1] لكن البناء الأساسي في هذا الإطار لا يزال ينطبق إلى حد كبير على منطقة مساك، حيث تُؤرَّخ مراحل الخيول والجمال في المقام الأول بدءاً بدخول هذه الحيوانات المستأنسة إلى الصحراء، ربما حوالي 1000-700 ق.م. وخلال القرن الأول أو الثاني الميلادي على التوالي،[2] ويقدم ذلك حداً تالياً للأشكال التصويرية، ويساويه بالفترة الجرمنتية. ومع ذلك، فإن تواريخ الأنماط السابقة في مساك لا تزال محل جدال، وتختلف بما يزيد عن 5000 عام. ويعزو التسلسل الزمني «الطويل» رسم الحيوانات البرية بأسلوب طبيعي naturalistic إلى الصيادين–جامعي الثمار في أواخر البليستوسين أو أوائل عصر الهولوسين، ويعزو رسم الماشية المستأنسة إلى المرحلة الرعوية التالية.[3] أما التسلسل الزمني «القصير» فيدمج بين «أنماط» البوبالين والبوفيديان في مجموعة واحدة، ووفقاً له فإن الفن الصخري نشأ في المرحلة الرعوية، ليس قبل حوالي 6000 ق.م.[4]

هناك حاجة إلى تسلسل زمني أكثر موثوقية من أجل ربط الفن الصخري بالسياقات المناخية والأثرية المتغيرة، واستكشاف علاقتها المحتملة مع الاستيطان البشري والتنقل. وقد ركزت الأبحاث الجيومورفولوجية في السنوات الأخيرة على تحليل وتأريخ تكوّن الزنجار على الأسطح الصخرية.[5] وتم بشكل أكثر تحديداً استخدام هذه التقنية في مساك.[6] وتبين أن أنواعاً مختلفة من الزنجار في في هذه المنطقة تشكّلت في ظل ظروف بيئية محدّدة سادت في أوقات معينة خلال عصر الهولوسين. فالزنجار الأسود الغني بالمنغنيز Black Mn-rich patina ، وهو نموذجي بالنسبة إلى مساك، تطوّر بفعل النشاط الميكروبي في الظروف الرطبة

1. Hachid et al. 2010, 2012; Gallinaro 2013
2. Muzzolini 2000; Mattingly 2003, 2006; Grant 2006
3. Mori 1974; Lutz & Lutz 1995; Van Albada & Van Albada 2000; Jelínek 2004
4. Muzzolini 1991, 2001; Le Quellec 1998
5 . Drauovich 2000; Watchman 2000; Dorn 1994, 2001
6. Cremascghi 1996; Zerboni 2008

المعتدلة في نهاية الحقبة الأفريقية الرطبة African Humid Period ، قبل 3800 ق.م. [1] وبعد بداية الجفاف في الألفية الرابعة ق.م. خلال المراحل الرعوية المتأخرة والأخيرة، تشكّل الزنجار الأحمر الغني بالحديد ed iron-rich patina نتيجة الترسيبات الهوائية aeolian depositions التي تركت رواسب البحيرات الجافة على الأسطح الصخرية.[2] ثم توقف الزنجار عن التشكّل بعد بداية الظروف الصحراوية في الألفية الأولى ق.م.

لقد تم تعزيز هذا الإطار الزمني من خلال تواريخ الكربون المشع التي تم الحصول عليها من سياقات التنقيب الأثرية التي تحتوي على حجارة مُزَنْجَرة patinated (يعلوها الزنجار) وغير مُزَنْجَرة unpatinated .[3] يقدم الجدول 2 ملخص العمليات المسؤولة عن تطور أنواع مختلفة من الزنجار، وبياناتها الكرونولوجية، والسياقات المناخية والثقافية المقابلة.

تم تقدير نقوش الحيوانات التي عثر عليها في وادي الآجال بالرجوع إلى تسلسل تكوين الزنجار الذي وضعه كريمانشي[4] وزربوني.[5] وفي حين أن هذه التقنية يمكن يمكن أن تسهّل بناء إطار زمني واسع، فإن التطور غير المتّسق وتآكل الزنجار قد ينجم عن الاختلافات المحلية في تأثير الظروف المناخية على ألواح حجرية منفصلة، وفقاً لمدى تعرّضها لتلك الظروف أو وفقاً لتركيبتها الجيوكيميائية.[6] ومع ذلك، في هذه الحالة، فإن تحليل موائل الأنواع الحيّة المصوّرة في كل مجموعة من الزنجار وموضع الألواح الحجرية بالنسبة إلى الشواطئ المتغيرة على البحيرة القديمة palaeolake يدعم تسلسل الزنجار.[7]

---

1. Zerboni 2008
2. Cremascchi 1996; Zerboni 2008
3. Zerboni 2008; di Lernia & Gallinaro 2010
4. Cremaschi 1996
5 . Zerboni 2008
6. Bendnarik 2012
7. Drake et al. 2004; Guaunin 2010, 2014

البيئة	الزنجار	تاريخ النقش	المرحلة الزمنية (والتاريخ التقريبي)	عدد نقوش الحيوانات*	% مجموع نقوش الحيوانات
سافانا	زنجار أسود-رمادي غني بالمنغنيز	قبل أو أثناء تكون الزنجار الغني بالمنغنيز، خلال الظروف الرطبة المعتدلة في نهاية الحقبة الأفريقية الرطبة	المرحلة الرعوية المبكرة والوسطى (قبل 3800 ق.م.)	1284 (607)	53%
جدب	زنجار أحمر غني بالحديد	بعد تكون الزنجار الغني بالمنغنيز، قبل/أثناء تراكم الرواسب التي تحملها الرياح	المرحلة الرعوية المتأخرة والأخيرة (3800-1000 ق.م.)	797 (382)	33%
صحراء	بدون زنجار	حديثة جداً فلا يمكن رؤية تراكم الرواسب التي تحملها الرياح	العصر الجرمنتي وما بعده (بعد 1000 ق.م.)	363 (202)	15%

* أعداد الأنواع التي أمكن التعرف عليها موضحة بين قوسين.

جدول 2: ارتباط المراحل المناخية بالحقب الكرونولوجية وأنواع الزنجار في وادي الآجال (تسلسل الزنجار وارتباطه بالمناخ يستند إلى Cremaschi 1996، وZerboni 2008).

بالاعتماد على التعرف بصرياً على النقوش، أمكن تجميعها في ثلاث فئات: فئة ذات زنجار أسود أو رمادي، وفئة بزنجار أحمر، وفئة بدون زنجار (الشكل 5؛ الجدول 2).[1] تتألف فئة الزنجار الغني بالمنغنيز من رسومات ذات زنجار أسود نُقشت قبل بداية تكوّنه، وهي مغشاة بالزنجار بالكامل (الشكل 5 أ)، ورسومات نقشت أثناء تكوّن الزنجار الذي لم يتراكم إلا بشكل طفيف أو بلون رمادي (الشكل 5 ب).[2] كما أظهر عدد قليل من الألواح الحجرية صدأ أسود غنياً بالمنغنيز ودرجة متقدمة من التّجوية (التأثر بالعوامل الجوية)، ما قد يشير إلى تاريخ ما قبل

1. Guaunin 2014
2. Cremaschi 1996

المرحلة الرعوية pre-Pastoral.[1] وقد ناقشنا، لأغراض هذه المقالة، النقوش ذات الزنجار الغني بالمنغنيز الأسود أو الرمادي معاً حيث رُسمت جميع هذه الصور ضمن بيئة السافانا التي سادت فيها على الأرجح أنماط مماثلة من استخدام المناظر الطبيعية وأساليب المعاش.

كشف التقديرات أن ما يقرب من 86% من نقوش الأشكال الحيوانية المسجّلة في وادي الآجال أظهرت زنجاراً غنياً بالمنغنيز أو زنجاراً أحمر (جدول 2)، ما يشير إلى أن غالبية صور الحيوانات في وادي الآجال قد نُقشت خلال المراحل الرعوية، وتوجد نسبة أقل بكثير (حوالي 15%) من أشكال الحيوانات لم يكن بها زنجار نُحِتت في الفترتين الجرمنتية وما بعد الجرمنتية. وقد ثبت أن زنجار النقوش حساس من الناحية الكرونولوجية ويدلّ على العلاقة بين صور الحيوانات وبيئة الهولوسين المحلية في هذه المنطقة.[2] ويمكن بالتالي تخطيط التوزيع المكاني للفئات الثلاث من الصور المحددة في هذه التقديرات وتحليلها، وربط الأنماط المكانية بالسمات الأثرية والبيئية المؤرخة من أجل تطوير نموذج للنشاط البشري في ما يتعلق بالمعالم الطبيعية في الوادي خلال فترات مختلفة.

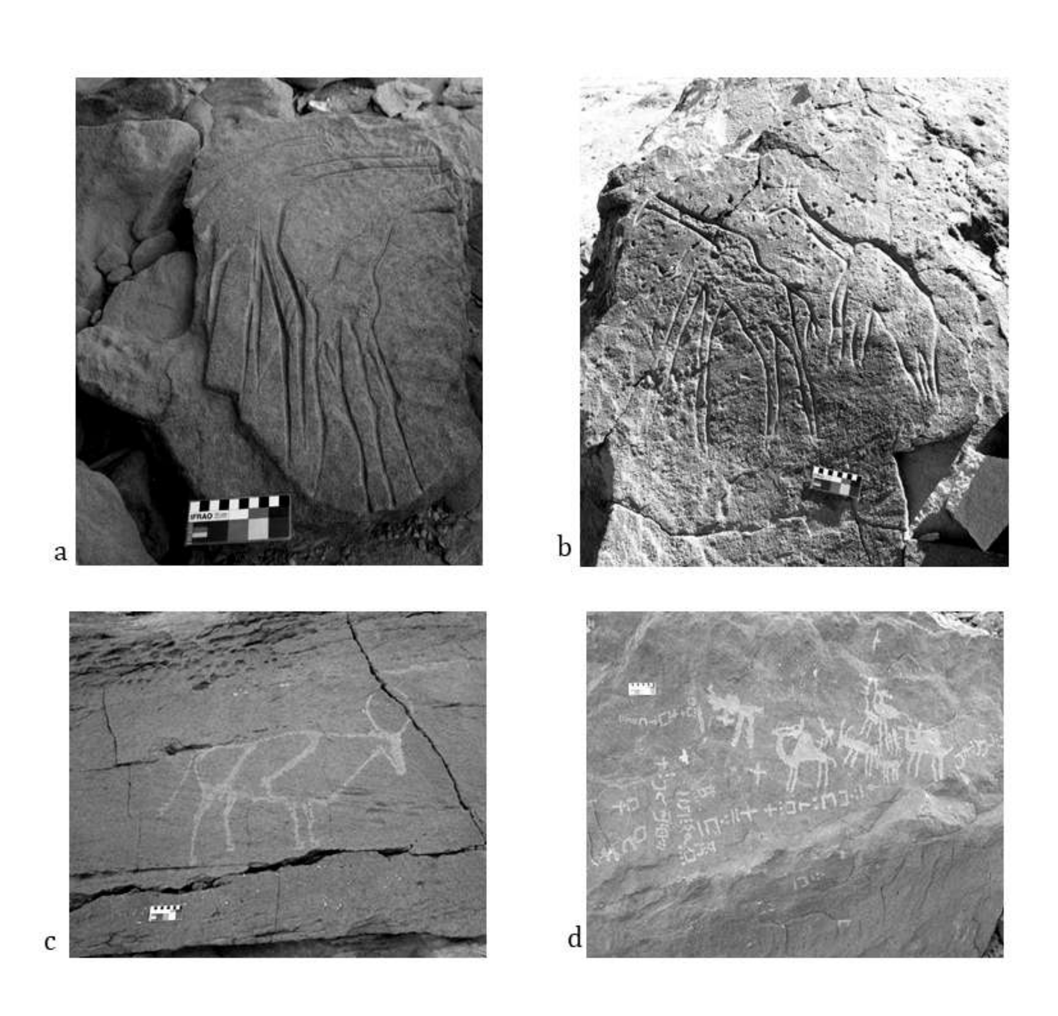
رسم خرائط التوزيع المكاني

تم استخدام نظام المعلومات الجغرافية (GIS) Geographic Information System لتحليل توزيع النقوش الحيوانية في ما يتعلق بالمعالم الأثرية والسياقات البيئية في أوقات مختلفة خلال عصر الهولوسين. وحُدّدت الكثافات النسبيّة في نقوش الحيوانات في ESRI ArcGIS Desktop، باستخدام حسابات الكثافة وفق كرنل Kernel ووظيفة الفواصل الطبيعية (Jenks) للعرض.[3] تضمن طريقة حساب الكثافة وفق تقديرات كرنل [KDE] أن تكون خلايا خطوط المسح الموجودة في

---

1. Zerboni 2008; Guaunin 2010
2 . di Lernia & Gallinaro 2010; Guaunin 2010, 2014
3. Baxter et al. 1997; Biauetti & di Lernia 2008; dI Lernia & Gallinaro 2011

موقع النقش أو بالقرب منه أكثر قوةً، وينتج عن ذلك تمثيل أكثر دقة للكثافة وأقل اعتماداً على نصف قطر البحث من حساب الكثافة البسيط وتَستخدم وظيفة الفواصل الطبيعية Natural breaks تصنيفاً يعتمد على المجموعات المضمَّنة في البيانات، فيؤدي ذلك إلى زيادة الاختلافات بين مجموعات البيانات إلى الحد الأقصى ويعزّز رؤية المناطق ذات الكثافة العالية والمنخفضة، مع تقليل فقدان البيانات على الشاشة في الوقت نفسه.



ش.5: . a. زرافات بزنجار أسود غني بالمنغنيز؛ b. زرافات بزنجار خفيف غني بالمنغنيز؛ c. بقرة بزنجار أحمر؛ d. نقوش بدون زنجار، إبل يمتطيها رجال يرعون الماشية أو يصطادون النعام، وكتابة ليبية-بربرية (الصور عن مشروع وادي الآجال للفنون الصخرية).

تم بعد ذلك إضافة المكان الجغرافي الذي يشمل المواقع الأثرية في الوادي (كما حددها تشارلز دانيلز ومشروع فزان Fazzān Project)،[1] إلى نموذج نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، وجرى تضمين البيانات المكانية الخاصة بجميع مواقع الدفن والاستيطان المعروفة على مدى فترات مختلفة داخل منطقة المسح، باستثناء وادي بوزنة وسد تكركيبة وممر مكنوسة، أي المناطق التي لم يغطّها مشروع فزان، ولم تُرسَم خرائط الأنظمة الحقلية الميدانية لأنها نادراً ما تكون مرئية ضمن المعالم الطبيعية ومن غير المرجح أن تعكس مواقعها وفرتها وتوزيعها الأصلي. كما تم استبعاد الفجارات (قنوات أنظمة الري) في ضوء الأبحاث الحديثة التي تقول إنه على الرغم من أنها ترتبط في كثير من الأحيان بمستوطنة الجرمنت ومواقع المدافن، إلا أنها لا علاقة لها بالفنون الصخرية،[2] وعلى النقيض من هضبة مساك وجنوب مساك، لم يتم تحديد الهياكل الطقسية المبنية بالحجارة التي يعود تاريخها إلى المراحل الرعوية الوسطى والمتأخرة[3] بشكل مؤكد في مسح منطقة وادي الآجال، وهي لا تظهر بالتالي في تحليلنا.

تعود غالبية الأنصاب الجنائزية في منطقة المسح إلى فترة الجرمنت (من أوائل الألفية الأولى ق.م. إلى أواخر الألفية الأولى ب.م.)؛ وتعتبر مدافن المرحلة الرعوية محدودة إلى حد كبير، وقد سُجّلت مئات الآلاف من مراكم حجارة الدفن الجرمنتية، خاصة على امتداد المنحدرات السفلية من الجرف،[4] ولكن حوالي 30 مجموعة من المراكم الحجرية سُرقت، وهو ما يجعل تصنيف الأنماط أمراً إشكالياً، إذ على الرغم من تحديد تأريخ الجرمنت، إلا أنه لا يمكن استبعاد المرحلة الرعوية المتأخرة عن بعض هذه المدافن.[5] وقد تمت الإشارة أيضاً إلى مقبرتين

1 . Mattingly 2003, 2007
2 . Mattingly et al. 2010
3 . Gauthier & Gauthier 2004; di Lernia et al. 2013
4 . Mattingly 2003; Mattingly et al. 2008
5 . Mattingly 2007

نُسبتا مبدئياً إلى المرحلة الرعوية المتأخرة نظراً لشكلهما المميز،[1] وما يرتبط بها من خرز ومصنوعات يدوية حجرية.[2]

تتميز المستوطنات الرعوية وما قبل الرعوية في منطقة المسح بوجود قطع أثرية منفصلة متناثرة تتكون بشكل رئيسي من حجارة حصوية مصقولة، وشظايا حجر الطحن، وفخاريات، وخرز قشر بيض النعام (جدول 3).[3] ويُعتقد أن غالبية المستوطنات تعود إلى المرحلة الرعوية، ويبدو أنها كانت مواقع استيطان مؤقتة استخدمها رعاة رحّل.[4]

تم تحديد مواقع الاستيطان ما قبل الرعوي، والرعوي المبكر والأوسط، على امتداد أطراف إدِّن أوباري (جدول 3)،[5] وسُجّلت مستوطنات المراحل الرعوية المتأخرة والأخيرة التي شهدها قاع الوادي، ولكن بحلول نهاية المرحلة الرعوية الأخيرة كان هناك انتقال إلى مواقع أكثر ديمومة ويمكن الدفاع عنها على النتوءات في أعلى الجرف.[6] وبحلول نهاية الألفية الثانية ق.م. ربما كانت هذه المواقع تدعم الاستيطان على مدار العام، وهي من أوائل المستوطنات الحضرية والمواقع المحصّنة على قمم التلال التي ظهرت في فترة الجرمنت المبكرة، وتتوزع المستوطنات التي يعود تاريخها إلى العصر الجرمنتي والفترات اللاحقة في الغالب على امتداد الواحة في قاعدة الوادي. وقد ظلّت المياه الجوفية هنا قريبة من السطح وغذّت الغطاء النباتي والزراعة في الواحات حتى يومنا هذا.

تمت دراسة الهيدرولوجيا القديمة palaeohydrology في وادي الآجال ورُسمت خرائطها بالتفصيل، كما تم تحديد وتأريخ المستويات المتغيرة التي مرت بها البحيرة القديمة palaeolake، وحُدّدت مواقع الينابيع والمستنقعات على امتداد

1. di Lernia et al. 2001; di Lernia & Manzi 2002; Mattingly 2003
2. Mattingly 2007
3 . Mattingly 2007
4 . Mattingly 2003
5 . Mattingly 2007
6 . Mattingly 2003

قاعدة الجرف،[1] ولأغراض هذه الدراسة، قمنا برسم خرائط المدرّجات المرتفعة والمنخفضة في البحيرة القديمة، وكذلك رواسب السبخة التي بقيت بعد جفاف البحيرة، وكان ذلك باستخدام صور القمر الصناعي لاندسات Landsat الذي يعتمد عليه نموذج نظم المعلومات الجغرافية GIS (نناقش أدناه أنماط توزيع النقوش م كانياً في كل فئة من فئات الزنجار في ما يتعلق بالسمات البيئية والأثرية المعاصرة)

تغيّر معالم الفن الصخري

الحقبة الأفريقية الرطبة (الرعوية المبكرة والمتوسطة)

كما هو موضح أعلاه، تشكّل الزنجار الغني بالمنغنيز خلال ظروف رطبة معتدلة قبل نهاية الحقبة الأفريقية الرطبة، قبل 3800 ق.م.[2] هناك في وادي الآجال 53% من نقوش الأشكال الحيوانية تُظهر زنجاراً غنياً بالمنغنيز، ومن المحتمل بالتالي أن تكون قد نُقشت خلال (أو ربما قبل) المراحل الرعوية المبكرة والوسطى (جدول 2). وهذا ما يؤكده طيف الأنواع الحية في صور الحيوانات، ويُعدّ نموذجياً لبيئة السافانا ويتضمن صور وحيد القرن والفيل وظبي القصب والثيتل.[3]

بالرغم من وفرة المياه خلال الحقبة الأفريقية الرطبة، يبدو أن الاستيطان البشري في وادي الآجال كان متناثراً نسبياً.[4] وقد سجّل مشروع فزان موقعاً محتملاً يعود إلى إلى المرحلة ما قبل الرعوية وتسع مستوطنات تعود إلى المرحلتين الرعويتين المبكرة والوسطى في هذه المنطقة. وكانت هذه في الغالب مقتصرة على أطراف إدِّن أوباري على امتداد الشاطئ الشمالي من البحيرة القديمة (انظر الشكل 6). إن النطاق المحدود ظاهرياً للاستيطان في وقت كانت فيه المياه السطحية والنباتات وفيرة يبدو متناقضاً إلى حد ما. ومع ذلك، فإن إعادة بناء البحيرات القديمة يُظهر أن مستويات المياه كانت تتاخم المنحدرات الصخرية في جرف مساك في ذلك

1. Drake et al. 2004, 2011
2 . Zerboni 2008
3 . Guaunin 2010, 2014
4 . Mattingly 2003

الوقت (انظر الشكل 6)، في حين شكلت الينابيع المنبعثة من الجرف مستنقعات محلية،[1] ما يجعل المنطقة مكاناً يصعب الوصول إليه وغير صالح للاستيطان.

خلال المرحلة الرعوية الوسطى في وادي الآجال، حيث أصبح المناخ أكثر جفافا بالتدريج، انخفض حجم البحيرة القديمة وبدأت المستنقعات تجف على امتداد قاعدة الجرف، وأدت عملية الجفاف التدريجي هذه أيضاً إلى زيادة الأراضي والمراعي المتاحة بين حافة الجرف وشاطئ البحيرة.

جدول 3: تحديد مواقع الاستيطان الرعوية وما قبل الرعوية من رواسب الأسطح الحجرية في منطقة وادي الآجال (استناداً إلى Mattingly 2007). PREPAST= ما قبل المرحلة الرعوية؛ E-MPAST= المرحلة الرعوية المبكرة-الوسطى؛ LPAST= المرحلة الرعوية المتأخرة والأخيرة؛ PAST= مواقع رعوية غير متمايزة أركيولوجياً وتفتقر إلى مواد تشخيص كافية لتأريخ بدقة أكثر. و(X) يشير إلى المكان الذي يكون فيه التصنيف الكرونولوجي محتملاً ولكنه غير مؤكد. وتمثل الأرقام الموجودة بين قوسين العدد الإجمالي للمواقع، بما في ذلك المحتملة وغير المؤكدة.

Site Code	PREPAST	E-MPAST	LPAST	PAST	Total
Occupation sites					
ELH034				(X)	
ELH036				(X)	
FJJ039				X	
FJJ043				(X)	
FJJ044		(X)			
FJJ045				(X)	
GER008			X		
GER016				X	
GER031		X			
GER032		X			
GER033		X			
GER034	(X)	X			
GER035		X			
GER036		X			
GER038		X			
GRA002			X		
TAG030				(X)	
TAG043		(X)			
ZIN001-003			X		
Total	0 (1)	7 (9)	3	2 (7)	11 (20)

يتطابق نمط الاستيطان في وادي الآجال مع الشواهد الواردة من جنوب مساك وهي تُظهر مواقع شبه سكنية تعود إلى المرحلة الرعوية الوسطى متمركزة حول بحيرات بين الكثبان في وادي مرزق.[2] إن التوسع الكبير في حجم هذه المستوطنات

1 . Drake et al. 2004, 2011

2 . Cremaschi & di Lernia 1999; di Lernia et al. 2013

مقارنة بالفترة السابقة قد يشير إلى وجود استيطان موسمي أطول زمناً خلال موسم الأمطار، في حين أن وجود مناطق سطحية سريعة الزوال، من المفترض أنها متناثرة على سطح موسم الجفاف على هضبة مساك، يشير إلى وجود نمط من المستوطنات في الأراضي المنخفضة والمرتفعات عمادها الانتجاع والبحث عن الكلأ نشأت في المرحلة الرعوية الوسطى.[1]

يبدو أن التوزيع المكاني في الوادي للأشكال النقشيّة التي تحتوي على زنجار غني بالمنغنيز يتوافق بشكل وثيق مع القيود المفروضة على إمكانية الوصول والاستخدام التي تفرضها المياه السطحية. وعلى المستوى المحلي، تتجمّع نقوش الأشكال الحيوانية ذات الزنجار الأسود الغني بالمنغنيز في المناطق التي يكون فيها قاع الوادي في أعلى مستوياته وربما يكون فوق خط حافة الوادي (الشكل 6). المشاهد والمعالم الطبيعية في هذه المواقع أكثر انفتاحاً ويمكن الوصول إليها نسبياً من الجنوب، ويبدو أن توزيع الفن الصخري يمثل علامة على هذه الطرق الطبيعية المؤدية إلى الوادي من الحمادة والمناطق الواقعة جنوباً. وقد تم على وجه الخصوص تسجيل كثافة عالية من النقوش التي تحيط بمدخل وادي بوزنة، وهو أحد روافد وادي الآجال ويقع باتجاه الطرف الغربي من منطقة المسح (الشكل 2). وفي الطرف الجنوبي من وادي بوزنة، يكون الجرف أكثر انخفاضاً ويشكّل منحدراً انسيابياً، ما يسمح بسهولة الوصول عبر الحمادة ومن أودية جنوب مساك. وفي الطرف الشرقي من منطقة المسح، يشكّل ممر مكنوسة طريقاً طبيعياً إلى الوادي من الجنوب. وهناك محجر عامل يقع على بعد كيلومترين تقريباً جنوب مدخل الممر، وهو ما حال دون التحقيق على امتداد جزء من جانبه الشرقي، ولكن لوحظت حيثما كان الوصول متاحاً نقوش متجمعة على جانبي مدخل الممر وفي مواقع عديدة على امتداد حوافه. بالإضافة إلى ذلك، تم تحديد عدد من الطرق في

1 . Cremaschi & di Lernia 1999; di Lernia 2002

السد جنوب تكركيبة[1] تتيح طريقاً مختصراً آخر إلى جنوب مساك. تقع هذه الطرق في أقصى شرق البحيرة القديمة، وكان من الممكن أن تسمح بالوصول بسهولة إلى المستوطنات على امتداد شاطئها الشمالي، وبخلاف ذلك فإن النتوءات الثلاثة في وسط منطقة المسح (زنككرا والفوقار وتكركيبة من الغرب إلى الشرق) تظهر كثافات نقوشية منخفضة نسبياً. وهنا يصل خط شاطئ البحيرة القديمة إلى قاعدة الجرف، ما يجعل الوصول إليه صعباً، كما يفرض الجرف الصخري شديد الانحدار حاجزاً إضافياً أمام حركة البشر والحيوانات.

قد يكون العدد الكبير من النقوش الحيوانية في المرحلتين الرعوية المبكرة والوسطى المسجلة في وادي الآجال مرتبطاً بتزايد الأنشطة البشرية، وبما أن المشاهد والمعالم الطبيعية أصبحت متاحةً أمامها ويسهل الوصول إليها، فمن المحتمل أن يكون ذلك قد سهّل استخدام الموارد بشكل مكثّف. لقد حاجج دون Dunne وآخرون (2012) بأن مزارع إنتاج الألبان ظهرت في هذه المنطقة خلال المرحلة الرعوية الوسطى، وكان من الممكن أن يرتبط ذلك بزيادة الاعتماد على رعي الماشية ونمو أحجام القطعان، ما يستلزم الوصول إلى مراعٍ أكثر اتساعاً وإمدادات مياه يمكن الاعتماد عليها. إن وتيرة التكرار العالي في إنتاج الفن الصخري والعلاقة بين موقع الفن الصخري والطرق التي تربط وادي الآجال وجنوب مساك قد يعكس كثافة الانتجاع بين هذه المناطق وزيادة استغلال المراعي في وادي الآجال. ربما يكون الاستخدام المكثف للمشاهد والمعالم الطبيعية قد غيّر كيفية إدراك الفضاء وتحديد تخومه، وربما أدى إلى تركيز أكبر على بناء المعالم والأنصاب الدائمة.[2]

□□□

---

1. تستمر هذه الطرق على امتداد الأودية الجنوبية في مساك ووادي برجوج لكنها ليست جزءاً من منطقة المسح في «مشروع الفنون الصخرية في وادي الآجال».

2 . di Lernia 2013

الجفاف (المرحلتان الرعويتان المتأخرة والأخيرة)

تشكّل الزنجار الأحمر أثناء تسارع ظروف الجدب والجفاف في أواخر عصر الهولوسين. ويعادل هذا في وادي الآجال المرحلتين الرعويتين المتأخرة والأخيرة بين 3800-1000 ق.م. تقريباً،[1] وقد تم التعرّف على الزنجار الأحمر في 33% من نقوش الأشكال الحيوانية في الوادي (جدول 2)، وهناك تحوّل واضح من تصوير حيوانات السافانا إلى تصوير الأنواع الحية المتكيفة مع المناطق القاحلة مثل النعامة والأغنام البربرية، ما يؤكد بشكل أكبر حدوث التغيرات المناخية في هذه الفترة.[2]

مع تقلّص البحيرة، أصبحت المناطق الواقعة عند قاعدة الجرف أكثر جفافاً وأصبح الوصول إليها أسهل أمام الرعاة في المرحلة الرعوية المتأخرة. ينعكس هذا التغيير في المشاهد والمعالم الطبيعية، ومستوى البحيرة القديمة أيضاً، على نمط الاستيطان في المرحلة الرعوية المتأخرة. وفي حين أن المستوطنات في المرحلة الرعوية الوسطى والمبكرة كانت تقع في الغالب على امتداد الشاطئ الشمالي من البحيرة القديمة، فإن مواقع المستوطنات في المرحلة الرعوية المتأخرة قد توزّعت بشكل رئيسي على قاع الوادي وعلى الحمادة مباشرة فوق الجرف (الشكل 7).

في بداية المرحلة الرعوية المتأخرة، وصلت البحيرة القديمة إلى مستوى منخفض، وبحلول عام 1000 ق.م. اختفت المستنقعات المتبقية وكذلك الينابيع على امتداد قاعدة الجرف.[3] وعندما بدأت البحيرة تجف وتصبح مالحة، صار من الضروري حفر الآبار أو الحصول على مياه الشرب من الينابيع المتبقية.

يكشف التحليل المكاني الذي أجري على نقوش المرحلتين الرعويتين المتأخرة والأخيرة في الوادي عن تغير واضح في توزيعها مقارنة بالمرحلتين الرعويتين المبكرة والوسطى السابقتين، وقد سُجّلت مجموعات من الأشكال النقشية على امتداد

1 . Cremaschi 1996; Zerboni 2008; Guaunin 2010, 2014
2 . Guaunin 2010, 2014
3 . Brooks et al. 2003; Drake et al. 2004, 2011

منطقة المسح (الشكل 7)، فلوحظ أنها أصبحت في هذه الفترة موجودة بشكل متكرر في الأماكن التي كانت مغمورة بالمياه سابقاً أو يصعب الوصول إليها، مع وتيرة عالية في كثافتها على جميع النتوءات تقريباً وعلى امتداد أمكنة أكبر حجماً كانت خلجاناً سابقة. وعلى الرغم من أن الأشكال النقشية أصبحت الآن منتشرة أكثر مما كانت عليه في الفترة السابقة، إلا أنها تظهر تركّزاً ملحوظاً بالقرب من مركز الوادي والواحة، مع عدد أقل من الصور في المناطق الهامشية مثل الأطراف الجنوبية من الخلجان السابقة.

على الرغم من التحول الواضح في تركّز أعمال النقش باتجاه مركز الوادي، إلا أن الصخور على امتداد الطرق المؤدية إلى المناطق الجنوبية من مساك استمرت في إظهار نقوش حيوانية، وتشمل هذه الأماكن التي نُقِشت في فترات سابقة، مثل وادي بوزنة والطرق التي تعبر السد جنوب تكركيبة وممر مكنوسة، على الرغم من أن المستوطنات في حقول كثبان إدِّن مرزق، جنوب نهر مساك، يبدو أنها قد هُجِرت في هذه الفترة بسبب زيادة الجفاف،[1] ولكن الروابط بين الوادي والواحات المتبقية والوديان المغمورة بالطمي في المناطق المحيطة ظلّت مهمة، ولذلك يبدو أن الأدلة تعكس اتجاهين ناشئين في الوقت نفسه: زيادة النزوع إلى الاستقرار في الواحات، والتواصل على مدى مسافات طويلة.

التصحّر (الجرمنت والفترات اللاحقة)

مع بداية الظروف الصحراوية في بداية الألف الأولى ق.م. توقف الزنجار عن التشكّل،[2] ويمكن بالتالي تأريخ النقوش التي لا تحتوي على الزنجار بالعصر الجرمنتي والفترات اللاحقة. ومع بداية هذه الفترة في الوادي، جفّت المياه السطحية المتاحة والينابيع الموجودة على امتداد قاعدة الجرف،[3] ولكن المياه

1 . Cremaschi & di Lernia 1999; Biauetti & di Lernia 2003
2 . Cremaschi 1996; Zerboni 2008
3 . Drake et al. 2004, 2011

الجوفية ظلت مع ذلك قريبة من السطح، ودعمت نمو مجموعة من النباتات على امتداد قاع الوادي. أما إنشاء نظام ريّ موسّع يعتمد على الفجارات فقد وفّر آلية لتوجيه المياه إلى حيث المحاصيل ومراكز الاستيطان في عصر الجرمنت.[1]

ارتبط عصر الجرمنت بتغيرات كبيرة في محتوى النقوش. هناك في منطقة المسح انخفاض عام في تكرار أشكال الحيوانات، حيث لا يوجد سوى 15% من المجموع بدون زنجار (جدول 2). وهذه كانت في الغالب مقتصرة على الصور الصغيرة أو النسقيّة أو التخطيطية من أشكال الحيوانات الأليفة مثل الخيول والجمال. كانت هناك زيادة مصاحبة في صور البشر والأشياء التي يمكن أن ترتبط بالمكانة، مثل المركبات والأسلحة، في حين ظهر شكل جديد هو النقوش المكتوبة في أواخر الألفية الأولى ق.م.[2] وقد نُحتت هذه النقوش الليبية-البربرية Libyco-Berber في البداية جنباً إلى جنب مع الأشكال التصويرية، لكنها حلّت محلها تدريجياً، لتصبح الشكل السائد من النقش في الوادي خلال الألفية الأولى ب.م.[3]

توجد نقوش بدون زنجار في معظم أنحاء منطقة المسح، وتتمركز أعلى مستويات الكثافة بشكل واضح في زنككرا وتاغلت، على الرغم من تسجيل مجموعات ذات كثافة منخفضة ومتوسطة على امتداد الجرف بأكمله. كانت مستوطنات الجرمنت عموماً تقع بعيداً عن حافة الجرف عند قاعدة الوادي، حيث كانت المياه الجوفية هي الأقرب إلى السطح ويمكن الوصول إليها عن طريق الآبار (الشكل 8). وعلى العكس من ذلك أنشئت التحصينات الجرمنتية المبكرة، مثل زنككرا، في مواقع دفاعية أو مهيمنة على النتوءات المطلّة على الوادي. وزنككرا هي المستوطنة الجرمنتية الوحيدة المرتبطة بالفن الصخري، وتشير كثافة النقوش المحيطة بهذا الموقع بالذات إلى أنه ربما كان يتمتع بمكانة أو وظيفة خاصة.

وعلى الرغم من انخفاض الوتيرة الإجمالية في نقوش الأشكال الحيوانية خلال

---

1 . Wilson with Mattingly 2003; Mattingly et al. 2010

2 . Galand 1999; Pichler 2007

3 . Barnett with Mattingly 2003

هذه الفترة، إلا أن هناك استمرارية في وضع علامات على الممرات والمسالك بين الشمال والجنوب عبر وادي بوزنة وتكركيبة ومكنوسة. وقد استمرت هذه المسالك في كونها طرقاً مهمة، حيث تربط المراكز الحضرية في وادي الآجال بالمستوطنات الجرمنتية في منطقة مرزق ومناطق أخرى إلى الجنوب،[1] وفي تسهيل عبور المسافات الطويلة في شبكات التجارة التي عزّزت الاقتصاد الجرمنتي،[2] وظلت هذه الطرق مستخدمة حتى أوائل القرن العشرين عندما تم بناء طرق حديثة على امتداد الوادي وعبر مكنوسة. عندما زار هاينريش بارث المنطقة عام 1850، على سبيل المثال، أخذه طريقه من وادي الآجال جنوباً عبر جسر تكركيبة إلى مرزق، ثم غرباً عبر نهر مساك إلى أكاكوس.[3]

من المحتمل أن تكون الاختلافات في أنماط توزيع النقوش الرعوية والجرمنتية المتأخرة قد تأثرت بتغير التصوّرات أكثر مما حدث بسبب تغيرات البيئة. فعلى الرغم من الاتجاه نحو التصحّر، فإن المشاهد والمعالم الطبيعية في الوادي، وهي واحة خضراء في بيئة قاحلة، كانت قد نشأت بالفعل في نهاية المرحلة الرعوية المتأخرة، ولم تتغير بشكل كبير مع بداية الظروف الصحراوية الكاملة في الألف الأولى ق.م. ومع ذلك، فإن المملكة الجرمنتية، بمجتمعها الهرمي وزراعتها ومراكزها الحضرية وكتابتها،[4] مثّلت تحولاً كاملاً عن نمط الرعي المتنقّل السابق، ومن المحتمل أن يكون لهذا تأثير عميق على الكيفية التي جرى بها تصوّر واستخدام المشاهد والمعالم الطبيعية.

جلبت المرحلة الجرمنتية أيضاً تغييرات جوهرية على المشاهد الطبيعية التي نُقشت ونُحتت، وقد تم بناء مئات الآلاف من معالم الدفن الحجرية في مقابر شاسعة على امتداد منحدرات الجرف الصخرية، حيث قام الجرمنت، إلى جانب الأنظمة الحقلية والمستوطنات الحضرية الدائمة وقنوات الري، بتغيير الطبيعة

1 Sterry et al. 2012; Sterry & Mattingly 2013
2 . Mattingly 2003, 2006
3 . Barth 1965
4 . Mattingly 2006

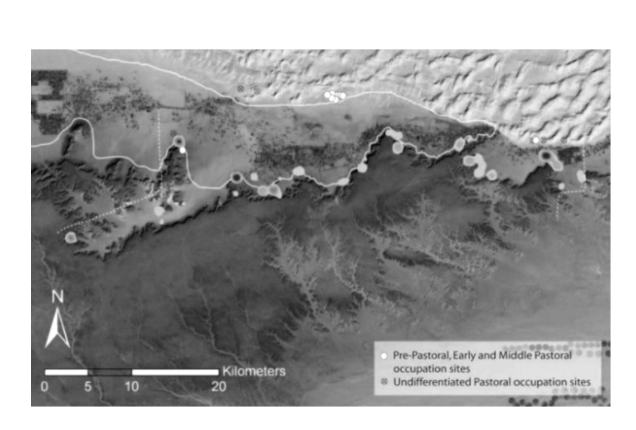
البصرية في المشاهد الطبيعية وفرضوا عليها طابعاً جديداً يعكس النظام والسيطرة والتّملك، وقد أعادت هذه التغييرات ترتيب المشاهد الطبيعية وشكّلت علامات دائمة ربما حلّت، إلى حد ما، محلّ النقوش.[1]

مناقشة

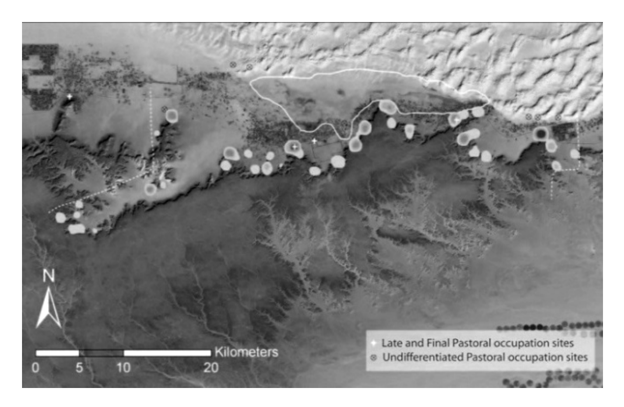
خلال حقبة الهولوسين الوسطى والمتأخرة (الألف السادسة ق.م. – الألف الأولى ب.م.) في الصحراء الوسطى، تزامن توزيع نقوش الأشكال الحيوانية في وادي الآجال مع تغير أنماط الاستيطان البشري والتنقّل. وكانت بداية هذه الحقبة التي تتوافق مع آفاق ثقافية في المرحلتين الرعويتين المبكرة والوسطى في هذه المنطقة، قد تميزت بظروف رطبة نسبياً. وفي وادي الآجال، أدى ارتفاع منسوب البحيرات والمستنقعات إلى الحدّ من تمكّن البشر من التجوال وتقييد حركتهم.

ظهرت هذه القيود في توزيع النقوش والنحتيّات التي يعود تاريخها إلى تلك الحقبة، وجميعها يقع فوق مستوى سطح البحيرة القديمة في المناطق التي يسهل فيها الوصول إلى الوادي والطرق الطبيعية المؤدية إليه. وعندما أصبح المناخ أكثر جفافاً على نحو تدريجي خلال المرحلة الرعوية الوسطى، انخفضت مستويات البحيرات، وبدأت المستنقعات تجف، وأصبحت الأراضي العشبية والنباتات الأكثر انتشاراً في متناول الرعاة. يمكن التعرف هنا على وتيرة تكرار عالية نسبياً في نقوش الأشكال الحيوانات في هذه الفترة، حيث يوجد عدد من المستوطنات على شواطئ البحيرة القديمة. بالإضافة إلى ذلك، فإن النقوش الصخرية المتكررة على امتداد الطرق الطبيعية عبر الجرف إلى جنوب مساك قد تشير إلى الانتجاع واستغلال المراعي في وادي الآجال. قد يكون هذه الحراك المحتمل بين الوادي والمناطق الواقعة إلى الجنوب مرتبط على نحو أكثر وضوحاً بتوفر الموارد والحاجة المتزايدة إلى المياه والمراعي موسمياً بعد إدخال مزارع إنتاج الألبان وقطعان الماشية الكبيرة في هذه المنطقة في الألف الخامسة ق.م.

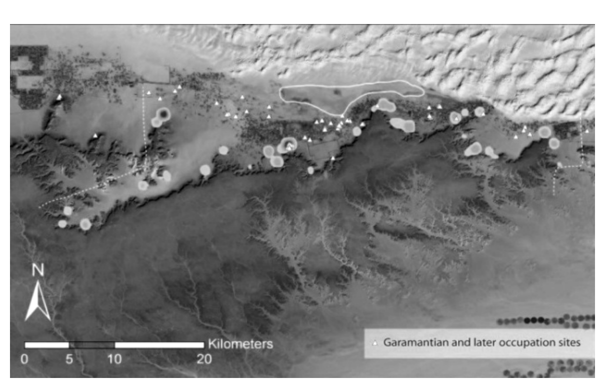
1 . Guaunin 2012b



ش.6: **الحقبة الأفريقية الرطبة**: توزيع كثافة النقوش ذات الزنجار الغني بالمنغنيز في علاقتها بمواقع الاستيطان في المراحل ما قبل الرعوية والرعوية المبكرة والوسطى (عن Matingly 2007; Guaunin 2010, 2014). الكثافة الأعلى باللون الأغمق، والكثافة الأقل باللون الأفتح. ويشير الخط الأبيض إلى متوسط الخط الساحلي من البحيرة القديمة خلال الحقبة الرطبة (عن Drake et al. 2011).والخطوط البيضاء المتقطعة هي الامتداد شرق-جنوب في عملية المسح.



ش.7: **الجدب**: توزيع كثافة النقوش ذات الزنجار الأحمر في علاقتها بمواقع الاستيطان في المرحلة الرعوية المتأخر والأخيرة (عن Mattingly 2007; Guaunin 2010, 2014). يشار إلى الكثافة الأعلى باللون الأغمق، والكثافة الأقل باللون الأفتح. ويشير الخط الأبيض إلى موقع منخفض من البحيرة القديمة حوالي 4000 ق.م. (استنادًا إلى Drake et al. 2004, 2011). ويشير الخط المتقطع إلى الامتداد شرق-جنوب في مسح وتسجيل الفن الصخري.



ش.8: **التصحّر**: توزيع كثافة النقوش دون الزنجار بالنسبة إلى مواقع الاستيطان الجرمنتي واللاحقة (عن Matingly 2007; Guaunin 2010, 2014). يشار إلى الكثافة الأعلى باللون الأغمق، والكثافة الأقل باللون الأفتح. يشير الخط الأبيض إلى رواسب السبخة في وادي الآجال (استناداً إلى Drake et al. 2004, 2011). وتشير الخطوط البيضاء المتقطعة إلى الامتداد شرق-جنوب في مسح وتسجيل الفن الصخري.

تظهر التغييرات المميزة في توزيع الفن الصخري في المرحلتين الرعويتين المتأخرة والأخيرة، في تناقض ملحوظ مع المرحلتين السابقتين (المبكرة والوسطى)، حيث تم نحت الصور بشكل متكرر في عدد صغير نسبياً من المواقع، ومن الألف الرابعة ق.م. فصاعداً تم اختيار العديد من المواقع الجديدة للنقش والنحت، كما تم تطوير نمط أكثر انتشاراً من الفن الصخري. وكما هو الحال في الفترات السابقة، استمرالنقش على الطرق الطبيعية المؤدية إلى الوادي من الجنوب خلال هذه الفترة، ولكن تكرار أشكال الفن الصخري كان موزعاً بشكل أكثر توازناً على امتداد الجرف، ما يشير إلى أن هذه الطرق لم تعد محوراً أساسياً لأعمال النقش والنحت. ويشير التحول الواضح عن التقاليد السابقة إلى انهيار الأنماط الراسخة في التنقّل والاستيطان، مع التركيز بشكل أكبر في هذه الفترة على المشاهد الطبيعية داخل الوادي، وخاصة حول النطاق النباتي الرئيسي.

استمرت هذه الاتجاهات في العصر الجرمنتي والفترات اللاحقة. مع انتشار الكتابة الليبية-البربرية، ربما منذ أواخر الألف الأولى ق.م. فصاعداً، وحلّت نقوش الكتابية تدريجياً محل النقوش الحيوانية التي اختفت في نهاية المطاف خلال الألف الأولى ب.م.

إن الاستنتاج الرئيسي من هذه الدراسة، بالتالي، هو أنه بين الألف السادسة ق.م. أو قبل ذلك، والألف الأولى ب.م. حدثت تغيرات في أنماط تكرار وتوزيع مواقع الفنون الصخرية والمستوطنات في الوادي تتوافق مع الاختلافات في مستويات البحيرة، مثلما تستجيب للقيود، وكذلك الفرص المتاحة، في البيئة الأوسع. مع ذلك، هناك ارتباط مباشر لا يذكر بين أمكنة مواقع الفنون الصخرية والمستوطنات، والاستثناء الرئيسي هو موقع زنككرا المحصّن في وقت مبكّر من العصر الجرمنتي، ويشير هذا التفاوت إلى أن الأمكنة المختارة لغرض النقش والنحت في الوادي ربما تم اختيارها عمداً لفصلها عن سياقات الاستيطان المحلية. وفي حين أُقترح وجود علاقة بين الفن الصخري والأنصاب الطقسية المبنية بالحجارة في جنوب هضبة مساك، فإنه يتبقى أن نرى ما إذا كانت هناك علاقة

مماثلة في الوادي. ونظراً لندرة الأدلة على الهياكل الطقسية ما قبل الجرمنتية في وادي الآجال، ينبغي استكشاف تفسيرات بديلة لأسباب اختيار مواقع النقوش في هذه المنطقة.

هناك علاقة مكانية متميزة بين أمكنة مواقع الفنون الصخرية وأنماط التنقّل عبر المعالم الطبيعية، فلعدة آلاف من السنين، طوال الفترة التي ظهر فيها الفن الصخري، تم نقش ونحت الصور على امتداد الطرق الطبيعية عبر الجرف وعند التقاطعات حيث تنفتح هذه الطرق على الوادي. وقد وفرت هذه الطرق إمكانية وحيدة للوصول من الجنوب مباشرةً، ومن الواضح أنها لعبت دوراً مهماً في ربط الوادي بالمناطق المحيطة به خلال عصر الهولوسين. وعلى الرغم من استمرار استخدام هذه الطرق لعدة آلاف من السنين، إلا أن طبيعة التنقّل والحوافز التي تقف وراءها تغيرت بشكل كبير، من انتجاع المجموعات الرعوية المرتحلة إلى تنقلات المجتمعات المستقرة، الجرمنتية وما بعد الجرمنتية، لغرض التجارة.

أخيراً، لقد قام هذا البحث بدمج بيانات الفن الصخري التي تم جمعها بشكل منهجي من منطقة صغيرة من الصحراء الوسطى، مع شواهد محلية، أركيولوجية ومناخية قديمة، من أجل دراسة العلاقات بين هذه السياقات المختلفة وآثارها على سكان ما قبل التاريخ في هذه المنطقة. وتم استخدام الزنجار والمعلومات البيئية الواردة في النقوش والأشكال الحيوانية لإنشاء رابط كرونولوجي بين الفن الصخري ومجموعات البيانات الأثرية والبيئية القديمة، ما سهّل إجراء تحليل مفصّل لتوزيع الفن الصخري في ما يتعلق ببيئة الهولوسين المتغيرة.

إن نتائجنا تُظهر أن التغيرات البيئية التي عاشها السكّان النقّاشون خلال عصر الهولوسين الأوسط والمتأخر لم تُمثَّل في الفن الصخري فحسب، بل أثّرت أيضاً على اختيار مواقع النقش والنحت، ويوفّر توزيع الفن الصخري مكانياً كما تم تحديده عن طريق هذه المقاربة منظوراً جديداً للأنماط المتغيرة من الاستيطان والتنقّل في الوادي، كما يُشرع الطريق أمام المزيد من التحقيق في العلاقات السياقية التي تعبّر عنها النقوش.

شكر وتقدير

هذا العمل الميداني في وادي الآجال تم تمويله من طرف جمعية الدراسات الليبية Society for Libyan Studies وصندوق ليفرهولم Leverhulme Trust بين عامي 2000 و2006، ومنحة البحوث الصغيرة بالأكاديمية البريطانية British Academy Small Research Grant في عامي 2008 و2009. وقد سهّل العمل الميداني كل من جمعية الدراسات الليبية، والبروفيسور ديفيد ماتينغلي David Matingly، وأعضاء مشروع فزان Fazzān Project ومشروع الهجرة الصحراوية Desert Migrations Project، ومن قبل مصلحة الآثار بطرابلس وسبها. كما تم تمويل موسم تكميلي من العمل الميداني عام 2007 من قبل صندوق أبركرومبي بجامعة إدنبرة University of Edinburgh Abercromby Fund، ومنحة المشاريع الصغيرة بجامعة إدنبرة University of Edinburgh Small Project Grant. أما تحديد النقوش الحيوانية وتحليل توزيعها المكاني فقد كان جزءاً من رسالة دكتوراه بجامعة إدنبره تم تمويلها من قبل هيئة التبادل الأكاديمي الالمانية Academic Exchange Service (DAAD). وتعرب المؤلفتان عن امتنانهما لهذا الدعم ولجميع المنظمات والأفراد الذين جعلوا هذا البحث ممكناً.

(*) العنوان الأصلي:

Changing Places: Rock Art and Holocene Landscapes in the Wadi AL-AJAL, South-West Libya. By: Tertia Barnett & Maria Guagnin. Journal of African Archaeology Vol. 12 (2), 2014, pp. 165–182

Bibliography

Barnett, T. 2001. Recent discoveries of rock art in Libya. *Inter-national Newsletter on Rock Art (INORA)* 30, 9–14.

Barnett, T. 2002. Rock art, landscape and cultural transition in the Wadi al-Ajal, Fazzan. *Libyan Studies* 33, 71–84.

Barnett, T. 2005. Patterns on the rocks: spatial distribution of rock art in the Wadi al-Ajal. *Libyan Studies* 36, 121–134.

Barnett, T. 2006. Dancing girls and insect-headed gods: results ofthe rock art recording project in the Wadi al-Hayat, Fazzan,2006. *Libyan Studies* 37, 95–116.

Barnett, T. 2009. Style, symbolism and cultural identity in the Wadi al-Hayat: results of fieldwork in 2008 and 2009. *Libyan Studies* 40, 155–170.

Barnett, T., with Mattingly, D. 2003. The engraved heritage: rock art and inscriptions. In: Mattingly, D. (ed.), *The Ar- chaeology of Fazzān. Volume 1: Synthesis.* Department of Antiquities and Society for Libyan Studies, London and Tripoli, pp. 279–326.

Barnett, T. & Roberts, M.S. 2003. Rock engravings and contextin the Libyan Fezzan*.* *International Newsletter on Rock Art(INORA)* 35, 1–7.

Barth, H. 1965. *Travels and Discoveries in North and Central Africa: Being a Journal of an Expedition Undertaken underthe Auspices of H.B.M.'s Government in the Years 1849–1855.*Centenary ed 1. 3 vols. Frank Cass, London.

Baxter, M.J., Beardah, C.C. & Wright, R.V.S. 1997. Some ar- chaeological applications of kernel density estimates. *Journal of Archaeological Science* 24 (4), 347–354. http://dx.doi. org/10.1006/jasc.1996.0119

Bednarik, R.G. 2012. The use of weathering indices in rock artscience and archaeology. *Rock Art Research* 29 (1), 59–84.

Biagetti, S., Cancellieri, E., Cremaschi, M., Gauthier, C., Gauthier, Y., Zerboni, A. & Gallinaro, M. 2013. The 'Mes-sak Project': archaeological research for cultural heritage management in SW Libya. *Journal of African Archaeology* 11 (1), 55–74. http://dx.doi.org/10.3213/2191-5784-10231

Biagetti, S. & di Lernia, S. 2003. Vers un modèle ethnographique- écologique d'une société pastorale préhistorique saharienne.*Sahara* 14, 7–30.

Biagetti, S. & di Lernia, S. 2008. Combining intensive field survey and digital technologies: new data on the Garamantian castles of Wadi Awiss, Acacus Mts., Libyan Sahara. *Journal of African Archaeol-ogy* 6 (1), 57–85. http://dx.doi.org/10.3213/1612-1651-10103

Boukous, A. 1997. Situation sociolinguistique de l'Amazigh. *International Journal of the Sociology of Language* 123, 41–60. http://dx.doi.org/10.1515/ijsl.1997

Bradley, R. 2000. *An Archaeology of Natural Places*. Routledge,London.

Brooks, N., Drake, N., McLaren, S. & White, K. 2003. Studies in geography, geomorphology, environment and climate. In: Mattingly, D. (ed.), *The Archaeology of Fazzān, Volume 1: Synthesis.* Department of Antiquities and Society for Libyan Studies, London and Tripoli, pp. 37–74.

Bruce-Lockhart, J. & Wright, J. 2000. *Difficult and Dangerous Roads. Hugh Clapperton's Travels in the Sahara and Fezzan(1822–1825)*. Sickle Moon Books, London.

Chippindale, C. 2004. From millimetre up to kilometre: a frame-work of space and of scales for reporting and studying rock-art in its landscape. In: Chippindale, C. & Nash, G. (eds.), *The Figured Landscapes of Rock-art*. Cambridge University Press, Cambridge, pp. 102–117.

Chippindale, C. & Nash, G. 2004. Pictures in place: approaches to the figured landscapes of rock-art. In: Chippindale, C. & Nash, G. (eds.), *The Figured Landscapes of Rock-art*. Cambridge University Press, Cambridge, pp. 1–36.

Cremaschi, M. 1996. The rock varnish in the Messak Set- tafet (Fezzan, Libyan Sahara): age, archaeological context, and paleo-environmental implication. *Geoarchaeology* 11 (5), 393–421. http://dx.doi.org/10.1002/(SICI)1520-

6548(199610)11:5<393::AID-GEA2>3.0.CO;2-3

Cremaschi, M. 1998. Late Quaternary geological evidence for environmental changes in south-western Fezzan (Libyan Sahara). In: Cremaschi, M. & di Lernia, S. (eds.), *Wadi Te- shuinat – Palaeoenvironment and Prehistory in South-western Fezzan (Libyan Sahara)*. CNR and All'Insegna del Giglio, Milano and Firenze, pp. 13–47.

Cremaschi, M. & di Lernia, S. 1999. Holocene climatic changes and cultural dynamics in the Libyan Sahara. *Afri- can Archaeological Review* 16 (4), 211–237. http://dx.doi. org/10.1023/A:1021609623737

Cremaschi, M. & Zerboni, A. 2011. Human communities in a drying landscape: Holocene climate change and cultural re-sponse in the Central Sahara. In: Martini, I.P. & Chesworth, W. (eds.), *Landscapes and Societies, Selected Cases.* Springer, Heidelberg, pp. 67–89.

DeMenocal, P., Ortiz, J., Guilderson, T. & Sarntein, M. 2000. Coherent high- and low-latitude climate variability during the Holocene Warm Period. *Science* 288 (5474), 2198–2202.http://dx.doi.org/10.1126/science.288.5474.2198

di Lernia, S. 2002. Dry climatic events and cultural trajectories: adjusting Middle Holocene Pastoral economy of the Libyan Sahara. In: Hassan, F. (ed.), *Droughts, Food and Culture*. Kluver Academic/Plenum, New York, 225–250.

di Lernia, S. 2006. Building monuments, creating identity: cattle cult as a social response to rapid environmental changes in the Holocene Sahara. *Quaternary International* 151, 50–62.http://dx.doi.org/10.1016/j.quaint.2006.01.014

di Lernia, S. 2013. The emergence and spread of herding in Northern Africa: a critical reappraisal. In: Mitchell, P.J. & Lane, P.J. (eds.), *Oxford Handbook of African Archaeology*.Oxford University Press, Oxford (online), pp. 527–540.

di Lernia, S. & Gallinaro, M. 2010. The date and context of Neolithic rock art in the Sahara: engravings and ceremonial monuments from Messak Settafet (south-west Libya).*Antiquity* 84, 954–975. http://dx.doi.org/10.3213/2191-5784-10198

di Lernia, S. & Gallinaro, M. 2011. Working in a UNESCO WH Site. Problems and practices on the rock art of Tadrart Akakus (SW Libya, Central Sahara). *Journal of African Archaeology* 9 (2), 159–175. http://dx.doi.org/10.3213/2191-5784-10198

di Lernia, S. & Manzi, G. (eds.) 2002. *Sand, Stones, and Bones. The Archaeology of Death in the Wadi Tanezzuft Valley* (5000–2000 BP). AZA Monographs 3. All'Insegna del Giglio, Firenze.

di Lernia, S. & Tafuri, M.A. 2013. Persistent deathplaces and mobile landmarks. The Holocene mortuary and isotopic record from Wadi Takarkori (SW Libya). *Journal of Anthro- pological Archaeology* 32, 1–15. http://dx.doi.org/10.1016/j. jaa.2012.07.002

di Lernia, S., Manzi, G., Bertolani, G., Cremaschi, M., Merighi, F., Ricci, F. & Sivilli, S. 2001. Megalithic architecture and funerary practices: megalithic architecture in the late prehis- tory of Wadi Tanezzuft (Libyan Sahara). Preliminary thoughts. *Libyan Studies* 32, 30–49.

di Lernia, S., Tafuri, M.A., Gallinaro, M., Alhaique, F., Balasse, M., Cavorsi, L., Fullagar, P.D., Mercuri, A. M., Monaco, A., Perego, A. & Zerboni, A. 2013. Inside the 'African Cattle Complex': animal burials in the Holocene central Sahara. *Plos One* 8 (2), 1–29. http://dx.doi.org/10.1371/journal.pone.0056879

Dorn, R.I. 1994. Rock varnish as evidence of climatic change. In: Abrahams, A.D. & Parsons, A.J. (eds.), *Geomorphology of Desert Environments.* Chapman and Hall, London, pp. 539–552. http://dx.doi.org/10.1007/978-94-015-8254-4_20

Dorn, R.I. 2001. Chronometric techniques: engravings. In: Whit-ley, D.S. (ed.), *Handbook of Rock Art Research.* AltaMira, Oxford, pp. 167–189.

Dragovich, D. 2000. Rock engraving chronologies and Accel- erator Mass Spectrometry radiocarbon age of desert varnish. *Journal of Archaeological Science* 17 (10), 871–876. http://dx.doi.org/10.1006/jasc.1999.0586

Drake, N., Salem, M., Armitage, S., Francke, J., Hounslow, M., Hlal, O., White, K. & El-Hawat, A. 2011. DMP XV: Palaeo-hydrology and palaeoenvironment. Initial results and report of 2010 and 2011 fieldwork. *Libyan Studies* 42, 139–149. http://dx.doi.org/10.1017/ S0263718900004878

Drake, N.A., Wilson, A., Pelling, R., White, K.H., Mattingly, D., & Black, S. 2004. Water table decline, springline desiccation and the early development of irrigated agriculture in the Wādīal-Ajāl, Libyan Fazzan. *Libyan Studies* 35, 95–112.

Dunne, J., Evershed, R.P., Salque, M., Cramp, L., Bruni, S., Ryan, K., Biagetti, S. & di Lernia, S. 2012. First dairying in green Saharan Africa in the fifth millennium BC. *Nature* 486, 390–394. http://dx.doi.org/10.1038/nature11186

Furon, R. 1963. *Geology of Africa, translated by A. Hallam and L.A. Stevens*. Oliver & Boyd, London.

Galand, L. 1999. L'écriture libyco-berbère. *Sahara* 11, 143–145.

Gallinaro, M. 2013. Saharan rock art: local dynamics and wider perspectives. *Arts* 2 (4), 350–382. http://dx.doi.org/10.3390/arts2040350

Gallinaro, M., Gauthier, C., Gauthier, Y., Le Quellec, J.-L.,AbdelAziz, S., Biagetti, S., Boitani, L., Cancellieri, E., Cavorsi, L., Massamba N'Siala, I., Monaco, A., Vanzetti, A., Zerboni, A. & di Lernia, S. 2012. The Messak Project. Cultural and natural preservation and sustainable tourism (south-western Libya). *Antiquity* 86, 331.

Gasse, F., Tehet, R., Durand, A., Gibert, E. & Fontes, J.-C. 1990. The arid-humid transition in the Sahara and the Sahel during the last deglaciation. *Nature* 346, 141–146. http://dx.doi. org/10.1038/346141a0

Gauthier, Y. & Gauthier, C. 2011. Les lacs de Têh-n-beka: contri-bution des gravures à la connaissance du climat à l'Holocène.*Cahiers de l'AARS* 15, 47–86.

Grant, A. 2006. Animal bones from the Sahara: diet, economy and social practices. In: Mattingly, D., McLaren, S., Savage, E., al-Fasatwi, Y. & Gadgood, K. (eds.), *The Libyan Desert. Natural Resources and Cultural Heritage*. Society for Libyan Studies, London, pp. 179–185.

Graziosi, P. 1942. *L'arte rupestre della Libia*. Edizioni della Mostra d'Oltremare, Naples.

Guagnin, M. 2010. *From Savanna to Desert: Animal Engravings in the Changing Prehistoric Environment of the Wadi al-Hayat, Lib-yan Sahara.* Ph.D. Thesis, University of Edinburgh, Edinburgh.

Guagnin, M. 2012a. From savanna to desert: rock art and the en- vironment in the Wadi al-Hayat (Libya). In: Huyge, D., van Noten, F. & Swinne, D. (eds.), *The Signs of Which Times? Chronological and Palaeoenvironmental Issues in the Rock Art of Northern Africa*. Royal Academy for Overseas Sci- ences, Bruxelles, pp. 145–157.

Guagnin, M. 2012b. The rock carvings of the Messak: monuments in a changing landscape. In: Furholt, M., Hinz, M. & Mischka, D. (eds*.)*,*"As time goes by?" Monumentality, Landscapes and the Temporal Perspective*. Universitätsforschungen zur prähistorischen Archäologie 206. Verlag Dr. Rudolf Habelt GmbH, Bonn, pp. 95–104.

Guagnin, M. 2014. Patina and environment in the Wadi al-Hayat: towards a chronology for the rock art of the central Sahara. *African Archaeological Review* 31 (3), 1–17. http://dx.doi. org/10.1007/s10437-014-9161-8

Hachid, M., Le Quellec, J.-L., Agsous, S., Amara, A., Beck, L., Duquesnoy, F., Grenet, M., Heddouche, A., Kaltnecker, E.& Mercier, N. 2010. Premiers résultats du projet algéro–français de datation directe et indirecte des images rupestres dans la Tasili-n-Ajjer. *Sahara* 21, 27–58.

Hachid, M., Le Quellec, J.-L., Amara, A., Beck, L., Kaltnecker, E., Merzoug, S., Quiles, A. & Valladas, H. 2012. Quelques résultats du projet de datation directe et indirecte de l'art rupestre Saharien. In: Huyge, D., Van Noten, F. & Swinne, D. (eds.), *The Signs of Which Times? Chronological and Pal- aeoenvironmental Issues in the Rock Art of Northern Africa*. Royal Academy for Overseas Sciences, Bruxelles, pp. 71–96.

Hassan, F.A. 2002. Palaeoclimate, food and cultural change in Africa: an overview. In: Hassan, F.A. (ed.), *Droughts, Food and Culture: Ecological Change and Food Security in Africa's Later Prehistory*. Kluwer Academic/Plenum, New York, pp. 11–26. http://dx.doi.org/ 10.1007/0-306-47547-2_2

Hyder, W.D. 2004. Locational analysis in rock-art studies. In: Chippindale, C. & Nash, G. (eds.), *The Figured Landscapes of Rock-art*. Cambridge University Press, Cambridge, pp. 85–101.

Ingold, T. 2000. *The Perception of the Environment. Essays in Livelihood, Dwelling and Skill*. Routledge, London. http:// dx.doi.org/10.4324/9780203466025

Jelínek, J. 1994. Wadi Bouzna rock art gallery in central Sahara. *Anthropologie* 32 (2), 129–163.

Jelínek, J. 2004. *Sahara -– Histoire de l'art rupestre libyen*.

Jérôme Millon, Grenoble.

Kuper, R. 2006. After 5000 BC: the Libyan desert in transition. *C. R. Palevol* 5 (1), 409–419. http://dx.doi.org/10.1016/j.crpv.2005.10.013

Kuper, R. & Kröpelin, S. 2006. Climate-controlled Holocene oc- cupation in the Sahara: motor of Africa's evolution. *Science* 313 (5788), 803–807. http://dx.doi.org/10.1126/ science.1130989

Le Quellec, J.-L. 1985. Nouvelles gravures rupestres du Wâdi-Bûzna (Wâdi-L-Ajâl, Libye). *Bulletin de la Société Préhistorique Fran- çaise* 82 (4), 120–128. http://dx.doi.org/10.3406/ bspf.1985.8674

Le Quellec, J.-L. 1993. A propos de quelques gravures rupestresde l'Ajal (Fezzan Septentrional, Libye). Réflexions sur le style de Tazina. *Bulletin de la Société préhistorique française*90 (5), 368–374.

Le Quellec, J.-L. 1998. *Art rupestre et préhistoire du Sahara*. Payot & Rivages, Paris.

Le Quellec, J.-L. 2004. *Rock Art in Africa: Mythology and Leg- end*. Trans. P. Bahn. Flammarion, Paris.

Lézine, A-M., Hély, C., Grenier, C., Braconnot, P. & Krinner, G. 2011. Sahara and Sahel vulnerability to climate changes, lessons from Holocene hydrological data. *Quaternary Science Reviews* 30 (21–22), 3001–3012. http://dx.doi.org/10.1016/j.quascirev.2011

Lhote, H. 1960. Die Felsbildkunst Kleinafrikas und der Sahara. In: Bandi, H.-G., Breuil, H., Berger-Kirchner, L., Lhote, H., Holm, E. & Lommel, A. (eds.), *Die Steinzeit: Vierzigtausend Jahre Felsbilder*. *Kunst der Welt, ihre geschichtlichen, soziologischen und religiösen Grundlagen. Die AußereuropäischenKulturen.* Holle, Baden-Baden, pp. 97–154.

Lutz, R. & Lutz, G. 1995. *The Secret of the Desert*. Golf Verlag,Innsbruck.

Mattingly, D. (ed.) 2003. *The Archaeology of Fazzān, Volume 1:Synthesis*. Department of Antiquities and Society for LibyanStudies, London and Tripoli.

Mattingly, D. 2006. The Garamantes: the first Libyan state. In: Mattingly, D., McLaren, S., Savage, E., al-Fasatwi, Y. & Gadgood, K. (eds.), *The Libyan Desert. Natural Resources and CulturalHeritage.* Society for Libyan Studies, London, pp. 189–204.

Mattingly, D. (ed.) 2007. *The Archaeology of Fazzān. Volume 2, Site Gazetteer, Pottery and Other Survey Finds.* Department of Antiquities and Society for Libyan Studies, London and Tripoli.

Mattingly, D., Dore, J. & Lahr, M. 2008. DMP II: 2008 fieldwork on burials and identity in the Wadi al-Ajal. Libyan Studies 39, 223–262.

Mattingly, D., al-Aghab, S., Ahmed, M., Moussa, F., Sterry, M. & Wilson, A. 2010. DMP X: survey and landscape conservation issues around the Tāqallit headland. Libyan Studies 41, 105–132.

Mercuri, A.M. 2008. Human influence, plant landscape evolution and climate inferences from the archaeobotanical records of the Wadi Teshuinat area (Libyan Sahara). Journal of Arid En- vironments 72 (10), 1950–1967. http://dx.doi.org/10.1016/j. jaridenv.2008.04.008

Mercuri, A.M., Trevisan Grandi, G., Mariotti Lippi, M. & Cremaschi, M. 1998. New pollen from the Uan Muhuggiag rockshelter (Libyan Sahara, VII–IV Millennia BP). In: Cremaschi, M. & di Lernia, S. (eds.), Wadi Teshuinat. Palaeoenvironment and Prehistory in South-Western Fezzan (Libyan Sahara). CNR and All'Insegna del Giglio, Milano and Firenze, pp. 107–122.

Monod, T. 1932. L'Adrar Ahnet, contribution à l'étude ar- chéologique d'un district saharien XIX. Travaux et Mémoires de l'Institut d'Ethnologie, Paris.

Mori, F. 1974. The earliest Saharan rock-engravings. Antiquity 48 (190), 87–92.

Mori, F. 1998. The Great Civilisations of the Ancient Sahara. Translated by B.D. Philips. “L'Erma” di Bretschneider, Rome.

Muzzolini, A. 1991. Proposals for updating the rock-drawing sequence of the Acacus. Libyan Studies 22, 7–30.

Muzzolini, A. 2000. Livestock in Saharan rock art. In: Blench, R.M. & MacDonald, K.C. (eds.), The Origins and Develop- ment of African Livestock: Archaeology, Genetics, Linguistics and Ethnography. UCL Press, London, pp. 87–109.

Muzzolini, A. 2001. Saharan Africa. In: Whitley, D.S. (ed.), Handbook of Rock Art Research. AltaMira Press, Walnut Creek, pp. 605–636.

O'Connor, M. 1996. The Berber scripts. In: Bright, W. & Daniels, P. (eds.), The World’s Writing Systems. Oxford University Press, New York, pp. 112–116.

Pauphillet, D. 1953. Gravures rupestres de Maknusa (Fazzan). TIRS 10, 107–122.

Pesce, A. 1968. Rock carvings in Wadi Bouzna, Wadi el Ajal valley, Fezzan. Libya Antiqua 5, 109–112.

Pichler, W. 2007. Origin and Development of the Libyco-Berber Script. Rüdiger Köppe Verlag, Köln.

Sattin, F. 1965. Le incisioni rupestri di Kuleba e della Zinkekra. Libya Antiqua 2, 73–81.

Sterry, M. & Mattingly, D. 2013. Desert Migrations Project XVII: further AMS dates for historic settlements from Faz- zan, South-West Libya. Libyan Studies 44, 127–140. http:// dx.doi.org/10.1017/S0263718900009729

Sterry, M., Mattingly, D. & Higham, T. 2012. Desert Migrations Project XVI: radiocarbon dates from the Murzuq region, southern Libya. Libyan Studies 43, 137–148. http://dx.doi. org/10.1017/S0263718900000091

Taçon, P.S.C. 1990. The power of place: cross-cultural responses to natural and cultural landscapes of stone and earth. In: Vas- tokas, J. (ed.), Perspectives of Canadian Landscape: Native Traditions. York University, Robarts Centre for Canadian Studies, North York, Ont., pp. 11–43.

Taçon, P.S.C. & Chippindale, C. 1998. An archaeology of rock-art through informed methods and formal methods. In: Chippindale, C. & Taçon, P.S.C. (eds.), The Archaeology of Rock-art. Cambridge University Press, Cambridge, pp. 1–10.

Trevisan Grandi, G., Mariotti Lippi, M. & Mercuri, A.M. 1998. Pollen in dung layers from rockshelters and caves of Wadi Teshuinat (Libyan Sahara). In: Cremaschi, M. & di Lernia, S. (eds.), Wadi Teshuinat. Palaeoenvironment and Prehistory in South-Western Fezzan (Libyan Sahara), Vol. 7. Quaderni di Geodinamica Alpina e del Quaternaria, Milano, pp. 95–106.

Van Albada, A. & Van Albada, A.-M. 2000. La montagne des hommes-chiens. Seuil, Paris.

Watchman, A. 2000. A review of the history of dating of rock varnishes. Earth-Science Reviews 49 (1–4), 261–177. http:// dx.doi.org/10.1016/S0012-

8252(99)00059-8

Wendorf, F., Karlen, W. & Schild, R. 2007. Middle Holocene environments of north and east Africa, with special emphasis on the African Sahara. In: Anderson, D.G., Maasch, K.A. & Sandweiss, D.H. (eds.), Climate Change and Cultural Dy- namics: A Global Perspective on Mid-Holocene Transitions. Elsevier, London, pp. 189–227. http://dx.doi.org/10.1016/ B978-012088390-5.50011-X

Wilson, A. with Mattingly, D. 2003. Irrigation technologies: foggaras, wells and field systems. In: Mattingly, D. (ed.), The Archaeology of Fazzān. Volume 1: Synthesis. Department of Antiquities and Society for Libyan Studies, London and Tripoli, pp. 235–278.

Ziegert, H. 1969. Überblick zur jüngeren Besiedlungsgeschichte des Fezzan. Berliner Geographische Abhandlungen 8, 49–58.

Zerboni, A. 2008. Holocene rock varnish on the Messak plateau (Libyan Sahara): chronology of weathering processes. Geo- morphology 102 (3–4), 640–651. http://dx.doi.org/10.1016/j. geomorph.2008.06.010

Zerboni, A. 2012. Rock art in the Central Sahara (SW Libya): a geoarchaeological and palaeoenvironmental perspective. In: Huyge, D., van Noten, F. & Swinne, D. (eds.), The Signs of Which Times? Chronological and Palaeoenvironmental Issues in the Rock Art of Northern Africa. Royal Academy for Overseas Sciences, Brussels, pp. 175–196.

Zoli, C. 1926. Nel Fezzan. Note e impressioni di viaggio. Alfieri & Lacriox, Milano.

Zoli, C. 1927. Sculture libiche nel Fezzan. Rivista Coloniale Italiana 1 (1), 7–13.

اللغة وأنظمة الكتابة في ليبيا القديمة*

عبدالمنعم المحجوب

1. ما أقدمُ اللغات في ليبيا؟

لعل الإشارة الأولى عن أقدم اللغات في ليبيا القديمة هي التي وردت في لوحة الملك المصري مرنبتاح رابع ملوك الأسرة التاسعة عشر، وفيها يتحدث بفخر عن انتصاره على الملك الليبي موريي بن أدد، وغيره من الملوك أو الأمراء. يقول النصّ: «الملوك سقطوا، وهم يقولون «سلام». لا أحد منهم قادر على رفع رأسه بين الأقواس التسعة. هُزمَ التحنو».

هكذا ترد كلمة «سلام» salām بلفظها على لسان الليبيين في الأصل المصري، وهي بذلك أقدم دليل على أن الليبيين كانوا يتحدّثون لغة تناظر العربية، أو طوراً قديماً منها. يعلّق بريستيد على ذلك قائلاً إن : «الليبيين قُدّموا كذلك وهم يستخدمون هذه الكلمة «السامية» في حربهم مع رمسيس الثالث».[1] ما يعني أنها كانت في لغة الليبيين قبل مرنبتاح (القرن الثالث ق.م) وبعد رمسيس الثالث (القرن الثاني ق.م)، لكن ما ورد في نقوش دير المدينة (وادي الملوك، الأقصر) عن رمسيس الثالث، يحمل أيضاً إشارة تبدو مهمة حول اختلاف اللغتين المصرية والليبية:

أخذ أرض [التمحو]، الربو (و) المشوش	*ḥꜣq.n~f ẖꜣs.t [Ṯmḥw] Rbw Mšwš*
جعلهم يعبرون النهر، وحملهم إلى مصر	*dỉ~f ḏꜣy~w ỉtrw ỉn r km.t*
وهم دخلوا حصون [معتقلات] الملك الظافر	*st ỉr.w m nẖt.w n nswt nẖt*
سمعوا لغة الرمث (= المصريين)، في طاعة الملك	*sḏm~w md.t rmṯ ḥr šms nswt*

(*) فصل من كتاب «علم الدراست الليبية»، يصدر قريباً عن الدار العربية للكتاب.

1. Breasted, 1906, p 263.

وهو أبطل لغتهم، غيّر (؟) ألسنتهم *ỉrt~f swh md.t~sn p[n]'(?)~f ns~w*

هم (الآن) يسيرون في طريق لم يتحدّروا منه قبلُ. *šm~w ḥr tꜣ mỉ.t ỉwty hꜣw~w st* .[1]

أي إن هذه القبائل صارت على حالٍ لم تعهده قبل ذلك في معاشها، أما الإشارة إلى أن رمسيس الثالث «غيّر ألسنتهم» فجعلها أقرب إلى لغة المصريين فتقبل قرائتين في الوقت نفسه؛ إما أن لغة المصريين تختلف تماماً عن الليبيين، أو أن لهجات القبائل الليبية (ألسنتهم) كانت تتسم بسمات محلية تجعلها غريبةً عن لغة الشعب (الرمث) بالرغم من وحدة مصدرها، وإذا سلمنا بحرفية نص اللوحة فإن التساؤل عن الزمن الذي قد تستغرقه القبائل الليبية لتتعلّم لغةً غريبة عنها، وهي مدّة إقامتهم في حصون الملك، يجعلنا نميل إلى الاحتمال الثاني، أي إن «ألسنة» الليبيين آنذاك كانت تتميّز بسمات محلية تحرّف أسلوب الحديث واستعمال الكلمات (ربما كما يحدث اليوم)، بينما اللغتان تمتحان من المصدر نفسه!

لن نفترض تلقائياً أن الليبيين القدماء الذين اتّصلوا بالمصريين، سلماً أو حرباً، كانوا يتحدثون المصرية القديمة، أو فرعاً أقدم منها، أو نمطاً محلياً منها غيّرَ من صِواتها أو سماتها الفونولوجية، لكن «فرضية السلام» التي تقدّمها لنا لوحة مرنبتاح، تشير إلى أن لغة التحنو في زمن هذا الملك (حكم بين 1213 و1203 ق.م.) كانت لغة أفروآسيويةً، ونحن نقرنها تلقائياً بدلالة اسم التحنو آنذاك من حيث هو اسمٌ دالٌّ على الليبيين جميعاً، أي إنه الاسم الذي عُرف به الليبيون القدماء أولاً، قبل أن يرد ويتكرّر اسم التمحو، ثم يرد أخيراً اسم الليبو Rbw الذي حلّ بديلاً يجمع كل القبايل الأخرى، مع افتراض أن القبائل الأولى قد اندثر كيانها المستقلّ أو أنها اندمجت في المجتمع المصري أو في غيرها من التشكّلات الليبية العشائرية الأخرى، وبقي اسم ربو Rbw أو رابو R'bw الذي التقطه اليونانيون بصيغة لبو Lbw (ليبو)، ثم استقرّ لديهم وعمّموه باسم لوبيا Lybia أو ليبيا Libya (إذا صحّت فرضية هذا التحوّر اللفظي).

---

1. Manassa, 2003, p. 84

إننا لا نملك من الشواهد الكافية ما يجعلنا نبتّ في نشأة وتطوّر اللغة في شمال أفريقيا، لأن الشواهد الأثرية نادرة جداً لا نكاد نجمع منها سوى بعض المفردات، ولكننا نستطيع من ناحية أخرى أن نعتمد على «أساس» لغوي قديم ليس عرضة للتغير بمرور الزمن، ألا وهو البناء اللغوي. فجميع اللغات القديمة في شمال أفريقيا، كما يبدو، بما في ذلك المصرية القديمة، والبربرية ضمناً، ذات بناء لغوي أفروآسيوي راسخ، وندرج ضمن ذلك تلك الإشارة المهمة التي ذكرها هيرودوت في الكتاب الثاني متحدثاً عن الأمونيين (عبدة آمون من الليبيين في نطاق واحة سيوة) قائلاً أن: «الأمونيين هاجروا من مصر وإثيوبيا [إلى الصحراء الليبية]، ويتكلمون لغة وسطاً بين لغتي الشعبين».[1] وتحيل صفة «التوسّط» هنا إلى أن لغة الليبيين تضارع اللغتين المصرية والكوشية فتشترك معهما في البناء اللغوي مع اختلافات ربما تتصل بذخيرتها المعجمية.

تجعلنا «فرضية مرنبتاح اللغوية»، كما يمكن أن نسميها، نستنتج ضمناً أن ما آلت إليه اللغات واللهجات في ليبيا إنما هو نمط آفروآسيوي أصيل، ولعله أول أنماط العربية القديمة التي تطوّرت مناطقياً، بتطوّر وتغيّر ألفاظها، وثبات بنائها الأفروآسيوي العميق الذي ظلّ كما هو، على ما نرى الآن في اللهجات البربرية المتنوعة، كما هو شأن المصرية القديمة.

على هذا الأساس سوف نمضي إذن إلى القول مبدئياً بأن اللهجات البربرية ذات البناء الأفروآسيوي تطوّرت من حيث مادتها المعجمية ومفرداتها، وحافظت في الوقت نفسه على بنائها اللغوي من حيث تركيب الألفاظ والجمل والخصائص الصورفية (الصوتية-الصرفية) ونقل الدلالات.

كان اسم التحنو، كما أسلفنا، دالاً على جميع الليبيين، ولكن المصريين على كل حال، لم يعرفوا من الليبيين سوى من اتّصل بهم، سلماً وحرباً، والغالب أنهم تحدثوا معهم لغة تناظر المصرية القديمة، ولم يكونوا في حاجة إلى مترجمين

---

1 . هيرودوت: 2 : 42.

كالذين احتاج إليهم المصريون عندما توجّهوا جنوباً (رحلة حرخوف مثلاً)، لكن ماذا عمّن بعد هولاء من القبائل، أي أقصى الغرب؟ أكانوا يتحدثون اللغة نفسها أو لغة أخرى أو لغات متعددة؟ دعونا إذن ننظر في مسألة الوحدة والتعدّد اللغويين في ليبيا القديمة.

2. هل كان الليبيون يتحدثون لغة واحدة؟

بعد مرنبتاح، نجد الترنيمة السابقة التي تتغنّى بالملك رمسيس الثالث على مسلّة «دير المدينة»، ويمكننا أن نفهم من عبارة «أبطل لغتهم» و«غيّر لسانهم» أن تلك القبائل كانت تتحدث لغةً واحدة. يتعلّق الأمر بأقصى الشرق الليبي القديم، أو بالليبو والمشوش على الأقل.[1] (إذا صحت فرضية أصل RBW وMŠWŠ وانتماءهم إلى ما وراء غرب النيل). وقد كان اسم الليبو في زمن هذا النقش في طور تحوّل، فقد رافقه هنا اسم المشوش، ولكنه سيستقلّ بعد ذلك ليدلّ على الليبيين جميعاً، أو سكان غرب النيل، بينما ينحصر استخدام اسم المشوش ليدل على من يسكنون مصر، لا خارجها. فماذا عن القبائل والأقاليم الليبية الأخرى؟

لا شيء محقَّق عن وحدة اللغة في ليبيا القديمة. إن النقائش الليبية ما زالت مستعصية لم تفكّ علاماتها بطريقة منتظمة تمكّننا من بناء تصوّر واضح. وقد تبدو هذه الإجابة مثيرة بالنسبة إلى الكثيرين ممن يعتقدون بأن الليبيين القدماء كانوا يتحدثون لغةً واحدة. بل إن الغالبية العظمى تيسّراً في فهم الماضي، أو عدمَ معرفةٍ به، تعتقد أن «الأمازيغية» الحالية أو «النوميدية» الأقدم هي اللغة الليبية القديمة.

الماضي اللغوي في شمال أفريقيا يكاد يكون مجهولاً تماماً. إننا نتحدث في مراحل ما قبل التاريخ عن اللغة الليبية، وعن الكتابة الليبية. هذا لا يعني أننا نتحدث عن

1. إذا أشرنا إلى ليبيا القديمة باتجاهي الشرق والغرب، فإن اسم الليبيين الشرقيين (وفق بيتس) يشمل القبائل التي توطّنت ما يُعرف بتونس وليبيا الحاليتين حتى نهر النيل والدلتا الغربية، أما اسم الليبيين الغربيين فيشمل ما بعد ذلك غرباً حتى جزر الخالدات.

النوميدية أو الأمازيغية وعن التفيناغ. بل إن المتخصصين في اللغة البربرية –يقول غبرييل كامب– يذهبون إلى حدّ التشكيك في وجود علاقة بين اللغتين الليبية والبربرية (ويعني بالثانية مجموع اللهجات الأمازيغية الحالية).[1]

يبدو أن اللغة الليبية شهدت عملية تحاتٍّ مستمر دام زمناً طويلاً فقدت فيه قدرتها على الصمود أمام أشكال لغوية أخرى سَهُل تبنّيها وتداولها. ولهذا التّحات اللغوي ما يبرره، كما سنرى.

يقول كامب بهذا الصدد: «لا تزال معظم الكتابات النقوشية الليبية عصيّة على القراءة والفهم، على الرغم من الأبحاث الكثيرة التي تناولتها على امتداد قرن من الزمان»،[2] و«لا يسعفنا النظام الكتابي للغة الليبية، المتكوّن من الحروف الصامتة وحدها، في إعادة تكوين اللغة التي ينقلها بالتمام والكمال»،[3] وبالرغم من جميع المحاولات التي بُذلت منذ أن عُثر على نقش دقّا الأول على يد الرحالة الأسباني الأصل توماس داكروس Thomas d'Arcos (1631)، إلى سلسلة النقوش التي جمعها الضابط فيدراب والطبيب روبو الفرنسيين في الجزائر وتونس (1867)، إلى اكتشاف نص دقّا الثاني (1905)، إلى أن قام شابو بعرض 1120 نقيشة في كتابه «مجموعة نقوش ليبية» Recueil des inscriptions libyques من بينها 20 نقيشة ثنائية (مزدوجة اللغة: ليبية-فينيقية، ليبية- لاتينية)، وما أضافه إليها غالان L. Galand من نقائش عثر عليها في المغرب الأقصى، بالرغم من هذا السجل الحافل فـ«إن الوصول إلى فكّ رموزها لا يزال يتعثّر إلى يومنا هذا».[4]

قام جين همبرت J. E. Humbert بنشر نقش دقّا للمرة الأولى عام 1817، وانكبّ فيلكس دو سولي Félix de Sauly عام 1943 على محاولة فكّ علاماته «واستطاع

1. كامب، 2014، ص90.

2. م.ن. ص90.

3. م. ن. ص91.

4. غانم، 1990، 32.

بعد دراسة جادة أن يعطيها معنى قريباً من محتواها، وقد انطلق هذا العالم من مقارنة الأسماء الواردة في النصين الليبي والفينيقي، وتوصّل بالتالي إلى وضع أبجدية ليبية تكاد تكون تامة. كذلك نذكر ما قام به في هذا الميدان في ما بعد كل من الطبيب جوداس Judas وهاليفي J. Halevy وشابو Chabot ومنهوف C. Melnhof وتوفار A. Tovar وجورج مارسي G. Marcy»،[1] بالإضافة إلى جيمس فيفريي J. G. Février وغالان اللذين تركّز عملهما على النقوش المزدوجة (الليبية-الفينيقية) التي عُثر عليها في المغرب الأقصى. إلا أن غموضاً وتداخلاً كبيرين أحاطا بهذه النقوش وجعلا منها أحجية مربكة، ونفّرا الباحثين من مواصلة محاولاتهم. وأحيل هنا إلى العروي في رصده لإعراض بعض اللسانيين عن الخوض في هذه المسألة، وما يتصل بذلك من أسئلة، يقول: «أما المتخصصون من اللسانيين، أولئك الذين يتكلمون البربرية، فإنهم متشبثون بالصمت، إذ لا يستطيعون حالياً البتّ في القضايا التالية: أصل اللغة الليبية، مدى انتشارها، وجود لهجات مخالفة لها في مغرب ما قبل التاريخ. لم يتقدموا كثيراً نحو حل لغز النقوش الليبية، مع أن بعضها يحمل بجانب النص الليبي نصاً فينيقياً أو لاتينياً. وبسبب هذا الإخفاق لم يستطيعوا معرفة أصل الحرف الليبي: هل هو مأخوذ من الفينيقية أو اليونانية القديمة أو كتابة سامية عتيقة أم هو اختراع محلي؟ غير أن علماء اللسانيات العامة يحصرون المسألة في نطاق ضيق إذ يضعون البربرية ضمن أسرة الألسن الحامية-السامية [الأفروآسيوية] ومنهم من يربطها مباشرة بالحميرية القديمة. هل نستنتج من هذا أن أغلبية البربر، في ضوء التاريخ، ينحدرون من الجماعة التي مرّت بأفريقيا الشرقية؟ استنتاجٌ وارد لولا أنه لا يوافق أسماء الأماكن التي تشير إلى أن القسم القادم من الشمال الشرقي عن طريق ساحل وجزر المتوسط هو الغالب».[2]

---

1. م. ن. ص33.

2. العروي، 1996، ص44.

لم يقدّم ما عُثر عليه من نقائش مزدوجة عوناً كبيراً، وبالرغم من الاستعانة التي تمت بالكتابات الليبوفينيقة[1] واللاتينية لم يتمكن الباحثون من قراءة النقوش الليبية بطريقة مُرضية، حتى مع منح جميع العلامات قيماً صوتية واضحة. كانت النتيجة مخيبة للآمال، وأدّى عدم وجود مماثلات لفظية في اللهجات الأمازيغية تقابل النقوش الليبية إلى جعل محاولات القراءة تدور في حلقة مفرغة، ولكن هذا العجز لم يدفع الباحثين إلى المضي قدماً والاعتراف بالنتيجة التي تقول: ليبيا القديمة لم تعرف الوحدة اللغوية منذ القدم كما هي متصوّرةً.

3. اللغة الليبية والبربرية البدئية

لقد صِير إلى الحديث عما عرف بما قبل البربرية[2] أو البربرية البدئية Proto-Berber 1، والبربرية البدئية Proto-Berber 2، في مبحث الكرونولوجيا اللسنيّة glottochronology، وكان تقديراً أولياً غير مكتمل، تجاوزه علماء اللغة وقد شكّكوا في جدوى فرضياته، وفي معقولية العودة آلاف السنين في الماضي لدراسة اللغات المنطوقة، بناء على مجرّد اقتراح مستقى من تسلسل الأدلة الأثرية، أي إن هذه الأدلة تُستخدم بوصفها أساساً ينبني عليه المبحث، لا لمجرد الاستعانة بها قياساً ومقارنةً، بينما لا تتوفر على عناصر لغوية مباشرة تكون قيد البحث، كما في علم

---

1. أُطلقَ على الليبوفينيقية (لهجةً وكتابةً) عدة أسماء: اللغة الفينيقية الجديدة أو البونيقية أو البونية punic، أو الفنيقية-البونيقية Phoenicio-Punic، وأحياناً القرطاجية Carthaginian، للدلالة على اللهجة الفينيقية في شمال أفريقيا، وهي طورٌ من اللغة الفينيقية Phoenician ساد انشر بعد نمو قرطاج، وتطمس الاصطلاحات التسمية الأصل، أي اللغة الكنعانية Canaanite، وقد ترسّخت في تقاليد البحث الغربية التي صير إلى تعريبها كما هي، وكما يلاحظ القارئ فإننا نستخدم في الغالب الأعم التسمية التي أطلقها السكان على أنفسهم، وكرّرها المؤرخون القدمى، أي الليبوفينيقيين، فنقول كتابة ليبوفينيقية، ولهجة ليبوفينيقية.

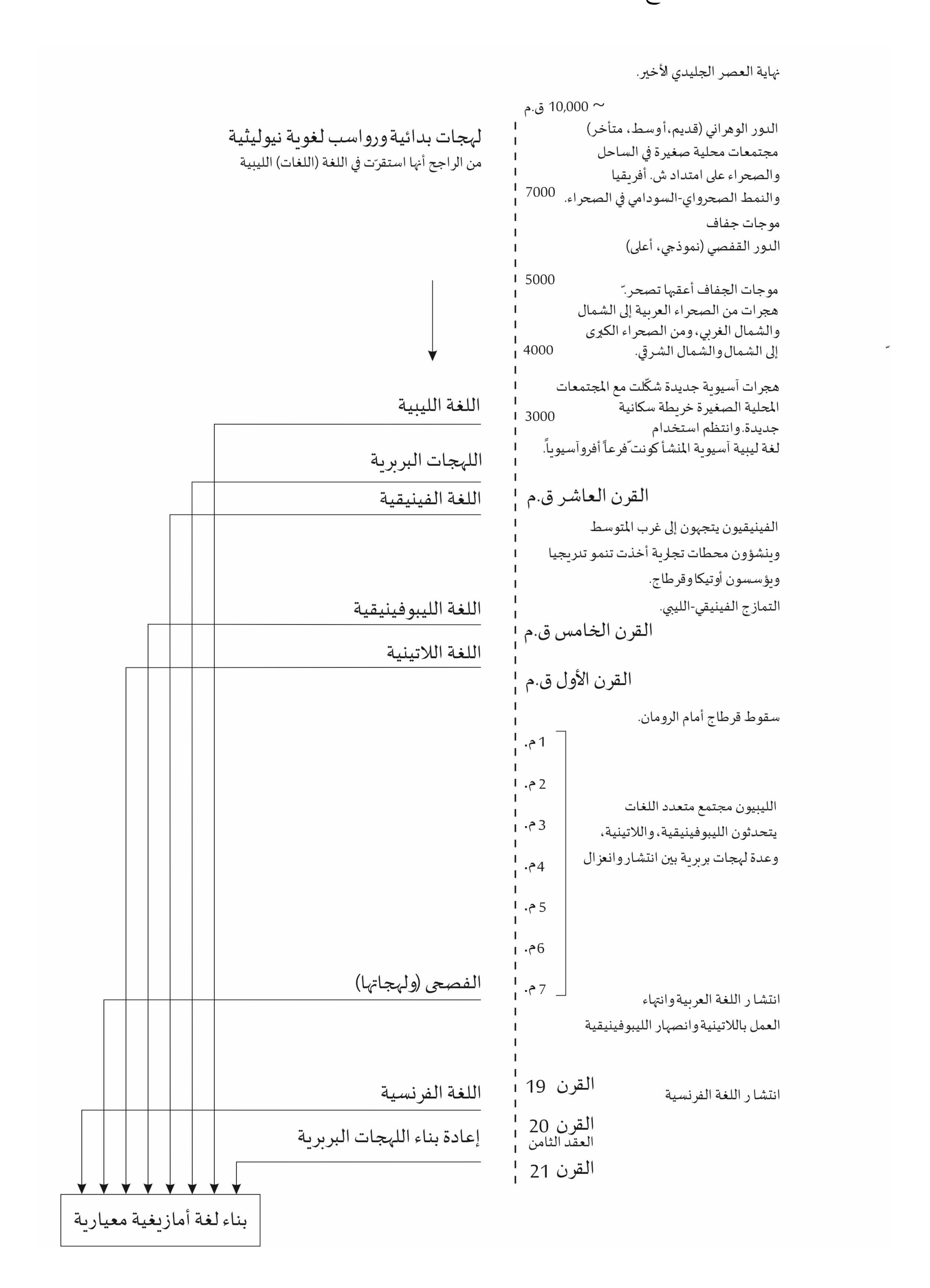
2. نصطلح بكلمة «بربر» للدلالة على قسم كبير من سكان ليبيا القديمة، كما هو سائد في الدراسات والبحوث التاريخية، ويبدأ مجال الاصطلاح منذ القرن العاشر ق.م. أما قبل ذلك فنستخدم كلمة «الليبيين» أو «الليبيين القدامى»، ويضم تصنيفهم عدداً كبيراً من الأجناس والقبائل، ونستخدم كلمة «أمازيغ» للدلالة على متحدثي اللهجات البربرية الحديثة المعاد بناؤها تحت اسم «أمازيغية» منذ الربع الأخير من القرن العشرين.

اللغويات التاريخية مثلاً. على إننا نستطيع دائماً الاعتماد على نقطة انطلاق ثابتة في تقدير نشأة اللغة وانتظام استخدامها بين الجماعات الرعوية النيوليثية، في عصر الحجريد (العصر الحجري الجديد أو الحديث)، من فضاءٍ عام يبدأ من 10 آلاف سنة ق.م. وهو الفاصل الكرونولوجي المفترض لنهاية العصر الجليدي الأخير، إلى 5 آلاف سنة ق.م. (انظر الشكل رقم 1) وهو الفاصل الكرونولوجي الثاني المفترض لتفاقم الجفاف والجدب وتحول المستنقعات النهريّة في الحوضين الآفروآسيويين (مصر وبلاد الرافدين) إلى أرض صالحة للسكنى والاستزراع.

هذا بشكل تأطيري عام، أما في ما يتعلّق بـ«البربرية الأم» أو «البربرية البدئية»، بجمع التصنيفين 1 و2 السابقين، فإننا نصطدم بفرضية مقابلة تستوجب أن نتحدّث بدلاً من ذلك عن أنساق لغوية مختلفة بين الفاصلين الأول والثاني، بحيث تكون هناك ثلاثة أنساق متعاقبة (انظر الشكل رقم 2):

النسق الأول: لغة (أو لهجات بدائية) (ل1) متبقية من الأدوار النيولوثية السابقة، ومجالها الكرونولوجي حتى الألف الرابعة والألف الثالثة ق.م. أي حتى توالي الهجرات القادمة من الشرق والتي احتوت المجموعات المحلية المتناثرة فانصهرت لهجاتها في لغة المهاجرين الشرقية (ل2)، من حيث أن الأولى لهجات متعددة ومتباينة، بينما كانت الثانية نظاماً لغوياً واحداً، أو نظامين رئيسيين على الأغلب (مثّلتهما في ما بعد أنظمة الكتابة في مصر وبلاد الرافدين).

النسق الثاني: لغة (ل3) هي نتاج انصهار لغة الهجرات القادمة من الشرق واللهجات البدائية في شمال أفريقيا في الألف الرابعة والثالثة ق.م، نسميها اللغة الليبية، وهي نظام افتراضي يُعبَّر عنه بشواهد فرعية لاحقة، ويمتدّ مجالها حتى القرن العاشر ق.م. تآثرت هذه اللغة وتفاعلت مع اللغة الفينيقية (ل4) أثناء انتشار الأخيرة التدريجي في شمال أفريقيا، ونشأت تدريجياً لهجة فينيقية جديدة مع تأثيرات ليبية، هي الليبوفينيقية (ل5)، التي استخدمت في ما بعد نمطَ كتابةٍ خاصاً.



ش1: كرونولوجيا الأوضاع اللغوية في ليبيا القديمة، وسبب وجود البناء الأفروآسيوي في اللهجات الأمازيغية ومصادر مفرداتها المتنوعة، مع إشارة إلى مشروع بناء اللغة الأمازيغية المعيارية في القرن الحادي والعشرين.

النسق الثالث: استمرت اللهجات البربرية القديمة (ل6) التي تفرّعت عن اللغة الليبية (ل3)، أثناء وبعد بدء التوطّن الفينيقي في سواحل شمال أفريقيا ونشأة المدن الليبوفينيقية الأولى. واتّخذت هذه اللهجات أطواراً مختلفة، بين انتشار وانعزال، وتفاعل القسم الشمالي منها مع يعرف باللهجة الليبوفينيقية، وهي اللغة الفينيقية في طورها الليبي (ل5)[1]، وانعزل القسم الجبلي والصحراوي مكوناً فرعاً لغوياً محليَّ النمو (ل6أ)، مع ملاحظة تآثره بلغات أفريقية مجاورة (ل7)، وملاحظة تأثر اللهجات البربرية بلغات لاحقة (ل8) مثل اللاتينية، شبيه بتأثير الفرنسية في الأمازيغية الحديثة (ل9)، وكما يتضح فإن اللهجات البربرية الشمالية هي التي حافظت على وجودها في شمال أفريقيا في حين تحاتّت أو اندثرت أو رحلت بقية اللغات التي مثّلت في الماضي مجموع المركّب اللغوي في شمال أفريقيا، وكان آخرها الليبوفينيقية التي انصهرت بقاياها بدءاً من القرن السابع في اللهجات العربية والأمازيغية على حدّ سواء.[2]

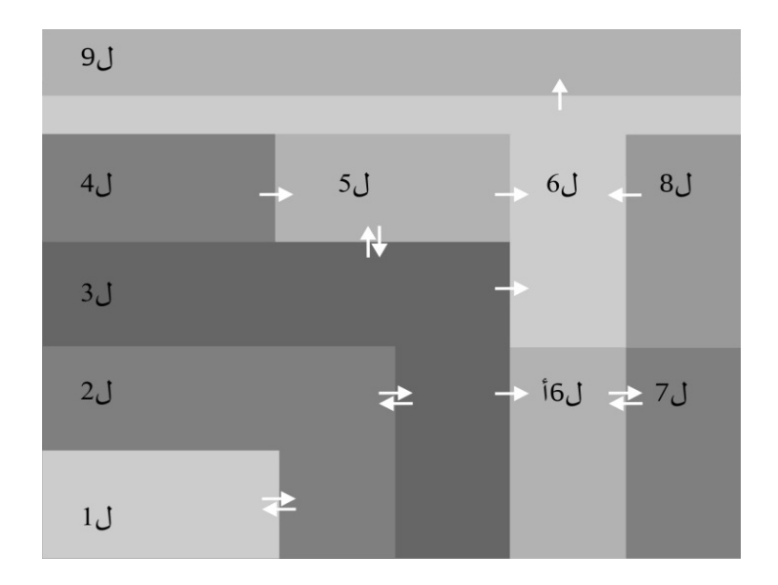
في عمق هذه الفرضية لابد من البحث أيضاً عن أشكال من التآثر والتفاعل بين الأنساق اللغوية، فهذه الأشكال هي تماماً ما يعزّز وجود اللغة واللهجة، أيَّ لغة أو لهجة كانت، أو يساهم في تحوّرها، أو تحاتّها واندثارها.

مع مجيء الفينيقيين، وأثناء تكوّن العصر الليبوفينيقي، بإمكاننا أن نتحدّث عن تآثر بين اللغة الليبية القديمة (ل3) التي كانت ما تزال موجودة آنذاك في اللهجات البربرية (ل6) ، واللغة الفينيقية (ل4) في طورها القديم الذي أتى به المهاجرون

---

1. من أشكال هذا التآثر، فضلاً عن البناء الصرفي، وجود الكثير من الجذور الأمازيغية ثنائية البناء، وهي سمة فينيقية أيضاً، ويمكن القول أن المعجم المشترك الأمازيغي- الأفروآسيوي يحتوي على نسبة 25% من مجموع المفردات الأمازيغية.

2. من الظواهر اللغوية الملحوظة أن العديد من المفردات التي يستخدمها متحدثو اللهجات العربية والأمازيغية على حد سواء في شمال أفريقيا، تعود إلى الكنعانية (الفينيقية) ونستطيع تأثيل جزء كبير منها في الآرامية (السريانية)، وهذا مبحث آخر منفصل (انظر للباحث: مفردات سريانية في العامية الليبية، مجلة لسان العرب، العدد الثاني عشر، شتاء 2019).



ش.2: المركّب اللغوي في شمال أفريقيا قبل القرن السابع الميلادي، وعلاقات التآثر وبقاء اللهجات البربرية الشمالية (ل6) الممثّلة حديثاً في اللهجات الأمازيغية (ل9)

الفينيقيون الأوائل، وهو التآثر الذي أنتج بعد ذلك اللهجة الليبوفينيقة (ل5) التي نشأت تدرّجاً عبر سلسلة من المراحل، وكان من مظاهرها وضع نقائش مزدوجة تجمع بين اللهجة الليبوفينيقية واللهجات البربرية (ل5 + ل6)، وهي اللقى التي ما زالت تثير الكثير من الجدل. وقد استمرّت اللهجات البربرية (ل6) بأوضاع مختلفة، دون أن تتوحّد لغوياً، الأمر الذي سيجعلها في المستقبل تشهد الكثير من الاختلافات الفونيطيقية والمعجمية بسبب اختلاط السكان بمتحدثي اللغات اللاتينية واليونانية (ل8)، ولكن دون أن تفقد وحدة بنائها الأفروآسيوي العام الذي يعود إلى الليبية القديمة (ل3).

عندما نتحدث عن اللغة الليبية القديمة على هذا النحو، فإننا لا نفترض أنها السلف المباشر للأمازيغيات الحديثة، ذلك أن التحليل اللغوي يجعلها متحدّرة من مجموع اللهجات البربرية الشمالية القديمة التي انتظم بناؤها بخصائص لغوية أفروآسيوية، ولنا أن نتساءل تلقائياً: متى نشأت اللهجات الأمازيغية إذن؟ وكيف

تشكّل هذا الاتّسام بالأفروآسيوية Afro-Asiaticization (أو التحوّل إلى السمات السامية Semitization)؟

إن الفرضية السابقة تجعل الأمازيغيات الحديثة نتاجَ مجموعة من اللهجات الشمالية المتفرّعة عن الليبية القديمة التي لم تتضامّ لتبني نظاماً لغوياً موحّداً، إذ لم يثبت لدينا على الإطلاق أن ليبيا القديمة قد شهدت مثل هذه الوحدة اللغوية في أي مرحلة من مراحل تاريخها القديم. هذا تماماً ما سيلقي بأثره لاحقاً على تنوّع وغموض نقوش اللغة الليبية التي لم تُفكّ وظلّت أحجية مزعجة أمام علماء اللغويات.

استنتاجاً، كانت اللغة الليبية القديمة مزيجاً من لغة المهاجرين الآسيويين ومجموع اللهجات البدائية التي وُجدت في زمن هذه الهجرات (الألف الرابعة- الألف الثالثة ق.م). لا يمكننا تصوّر نسق آخر يشرح السبب الكامن وراء البناء اللغوي الأفروآسيوي في الأمازيغية الحالية التي ورثت تلك اللهجات، فأفروأسيوية اللغة تشترط تلقائياً صلة قائمة بالشرق منذ القدم. أما عدم تماثل معجمها إلى حدّ ملحوظ عن بقية اللغات الأفروآسيوية، فلا تفسير له إلا النشأة المحلية التي تمتد إلى آلاف السنين. هذا بالطبع ما لم نسلّم بفرضية مقابلة تنصّ على أن جميع القبائل الليبية القديمة هاجرت من الشرق الآسيوي في زمن ما واستوطنت شمال أفريقيا بعد أن استوعبت ما كان موجوداً من جماعات بدائية هي بقايا الأدوار النيوليثية، وهي فرضية لا يمكن إثباتها إلا بشكل جزئي يوضّح طبيعة البناء اللغوي الأفروآسيوي كما هو ظاهر في اللهجات الأمازيغية الحالية، على أن هذه الفرضية لا تتناقض في صورتها العامة مع الجزء الأول من الفرضية السابقة المتعلق بالهجرات، دون أن نميل إلى تعميم هذه الجزئية (أي الهجرات) كما فعل الكثير من الباحثين دون دليل واضح.[1]

---

1. من أمثلة هذا التعميم ما ذكره كامب في كتابه «البربر، ذاكرة وهوية»، يقول: «إن القرابة التي لاحظها البعض في صلب المجموعة الحامية السامية [الأفروآسيوية] بين البربرية واللغة المصرية واللغة السامية [العربية]، لا =

نخلص باختصار ، إذن، إلى أن هناك ثلاثة تطورات رئيسية أنتجت المركّب اللغوي الليبي القديم:

1. اللغة الليبية (سلف البربرية الأم الافتراضية أو البدئية) وُجدت بعد هجرات الألف الرابعة والثالثة ق.م. من الشرق إلى الغرب، فاحتوت ما كان أمامها من لهجات بدائية نيوليثية متبقية من أدوار سابقة.

2. عن اللغة الليبية تفرّعت اللهجات البربرية بمراحل وأطوار مختلفة، وظلت في الغالب الأعم تعيش وتتطور بمعزل عن بعضها بعضاً، وبشكل مستقل (وهو ما يفسّر ما بين تفرّعاتها اللاحقة -ممثلةً في اللهجات الأمازيغية الحالية- من تفاوت واختلاف).

3. ولكن القسم الشمالي منها اكتسب مع القرن العاشر ق.م. نوعاً من الثراء اللغوي عن طريق التفاعل مع اللغة الفينيقية، فتجدّد بناؤها النحوي والمعجمي (وهو ما يميّز ثراء القسم الشمالي عن الجنوبي أو الصحراوي)، وقد امتدّت هذه المرحلة حتى القرن السابع الميلادي، ولم تنشأ أمازيغية معيارية طيلة العصور السابقة بسبب العزلة والتنائي، وهو ما يحاول المتخصّصون بهذه اللهجات تداركه في العصر الحديث.(1)

يمكن إلا أن تؤكّد المعطيات الإناسية، وهي التي تزيد كذلك في تعزيز الفكرة القائلة إن البربر يعودون بأصولهم البعيدة إلى المشرق» (ص92). لا يستند هذا التعميم إلا على جزئية البناء اللغوي الأفروآسيوي، وبعبارة أخرى، فإنه (وغيره من نظريات تأكيد الهجرة) لا يستطيع أن يقول شيئاً عن السكان الأصليين الذين تعود أصولهم إلى أدوار حضارية سابقة، ولا عن لغتهم (أو لهجاتهم). إن فرضيتنا التي لا تعوزها الأدلة تقدّم إجابات واضحة عن مثل هذه الأسئلة.

1. لكي تكون إعادة بناء اللغة الأمازيغية (الشمالية) عملاً منهجياً متكاملاً، وحتى لا تقع في ضرب من الانتقائية، أو تلجأ إلى التقديرات الظرفيّة أو غير المنهجية، فإن الأصوب هو أن تراعَى فيها سلسلة إجرائية دقيقة تتكون من ثلاث مراحل أساسية: 1) تدوين المعاجم المحليّة، ألفاظاً ودلالات، وهو عمل بالغ الأهمية له أثر إيجابي على الدراسات اللغوية والاثنولوجية. 2) التواضع على نموذج مرجعي قياسي يتم استخلاصه من القبايلية (تاقبايليت) والريفية (تاريفيت) والسوسية أو الشلحية (تشلحيت) (بحكم انتشارها الأكبر)، مع قياس إضافي أول عماده السيويّة، وثانٍ عماده التارقية، لأنهما الأبعد والأقل تفاعلاً. 3) بناء نموذج استظهاريّ extractive =

نشير هنا إلى أن اللغات واللهجات التي مرّ ذكرها حتى الآن (النيوليثيّات، الليبية، الفينيقية، الليبوفينيقية، البربريات القديمة) لا تمثّل خريطة ليبيا القديمة اللغوية بأكملها، فالمركّب اللغوي يضم أيضاً لغات أخرى غير مدونة، مثل اللغة (أو اللهجة) التي كانت سائدة في جرما، عاصمة الصحراء. إن المؤرخين والجغرافيين لم يتوقفوا عند لغة الجرميّين، أو لغاتهم، أكانوا مثل المكتهفين «لا يشبه كلامهم أي كلام آخر في العالم»؟ أكانوا يتواصلون بنظام لغوي أفروآسيوي أو نيلوصحراوي، أو غير ذلك؟ إننا نفترض أنهم تكلموا الليبوفينيقية في تعاملاتهم مع الساحل، وتكلموا اللاتينية في تعاملاتهم مع الرومان، إلا أن أحداً لا يذكر شيئاً عن لغة جرما الأصلية!

إلى الجرميّة أو الجرمنتية يمكن أن نذكر الغوانشيّة في الجزر الأرجوانية (الخالدات)، وأخرى نائية مثل لغة المكتهفين (أو التروغلوديت)، وربما لغات أخرى مجهولة آنذاك في الأطراف الجنوبية لم تُوثّق أسماؤها أو أسماء القبائل التي تحدّثت بها، فنُسيت إلى الأبد. ومع ذلك... لا شيء مؤكّد. حقائق التاريخ قد لا تكون بتلك الصرامة التي تُتوقَّع.

4. التفاعل السوسيو-لغوي في ليبيا القديمة

كان الوضع اللغوي في شمال أفريقيا على الدوام وضعاً مرناً غير متصلّب، وقد أتاحت له هذه الطبيعة المرنة استيعاب جميع الأنظمة اللغوية التي وفدت إليه، وأدمجها في أنظمته اللغوية المحلية، فمنها ما استعار مفرداته، ومنها ما جعله بشكل تلقائي جزءاً من بنائه العام، فالفينيقية الأفروآسيوية مثلاً كانت أقرب إلى لهجات شمال أفريقيا من اليونانية أو اللاتينية الهندوأوروبيتين، وما يمكن أن نلاحظه من تأثر بهاتين الأخيرتين لا يتعدّى استعارة المفردات وإعادة إنتاجها بما

يُستخدم لتثبيت التواضعات اللغوية والترجيحات الدلالية الأكثر تردّداً، على أن يشار ضمن ذلك إلى التحولات الفونيطيقية أو الدلالية التي لحقت بالمفردات. إن من شأن هذه الطريقة أن تحافظ على مجمل هذا التراث الإنساني الخالد، دون تعريضه للاندثار. يتعلّق الأمر كذلك باللغة التبويّة بفرعيها الرئيسين تدگا ودزگا.

يناسب طرق التلفّظ المحلية، على العكس من الفينيقية التي اتّخذت طوراً إقليمياً متميّزاً تمثّل في اللهجة الليبوفينيقية، وتحوّلت الأخيرة بدورها إلى لغة تواصل مشترك Lingua franca. وسوف يستمر الأمر كذلك إلى القرن السابع مع بدء انتشار اللغة العربية. إن الفصحى (العربية المعيارية) هي إحدى أكثر لغات العالم تصلّباً بحكم وَسْمِها بطابع التقديس الذي قد يتغاضى عن سمات التجديد بقدرٍ ما، إلا أنه يحصّن متن اللغة الأساسي ويحميه من الاستجابة لعوامل التطوّر عبر الزمن.

وبفعل مرونة الوضع اللغوي القديم في شمال أفريقيا اتّسمت الأنظمة اللغوية واللهجوية بتنوّع الخصائص الفونولوجية والمورفولوجية واختلافها من مكان إلى آخر، سواء تعلّق الأمر باللهجات البربرية أو الليبوفينيقية، على أن تلك سمة إيجابية في تقييم أشكال التفاعل الاجتماعي واللغوي، أو ما يمكن أن نسميه نمطاً تواصلياً سوسيولغوياً دائماً في ليبيا القديمة.

لاحظ أريك بيتس أن البربرية كانت تتفرّع في بداية القرن العشرين إلى أربعين لهجة بينها اختلاف ملحوظ بحسب خصائصها الصوتية[1] وقارن بين إبدالات الحروف في أكثر من لهجة ليخلص إلى أن ثمة «صعوبة كبيرة تشوب أي محاولة لإجراء مقارنة بين المفردات الحديثة والأسماء القديمة»[2]، بالإضافة إلى عدم وجود نماذج نصيّة تعطي أمثلة عن البنية اللغوية القديمة التي استخدمها الليبيون القدماء، مع تأكيده بأنها تمثّل البربرية البدئية Proto-Berber، ويسرد جملة من الحقائق تدعم هذه الفرضية أهمها تحليل أسماء الأمكنة القديمة وربط جذورها بمثيلاتها من التسميات في الأمازيغية الحديثة، معيداً التذكير بما كان اللاهوتي الليبي الأصل أغسطين (354- 430م) قد ذكره في كتابه «مدينة الله» De Civitate Dei من أن الناس في شمال أفريقيا كانوا يتحدثون اللغة نفسها، ولكن أغسطين كان يعني الفينيقية (الكنعانية)، أو الليبوفينيقية تحديداً، أي الفينيقية في طورها

1. Bates, 1914, p. 74.
2. Ibid, p. 76.

الليبي كما تحدّثها السكان، وهي لم تكن سوى لهجة فينيقية أنتجها تفاعل المزيج السكّاني الذي كوّنه الليبيون والفينيقيون، فهي إذن ليست الكنعانية القديمة، ولكنه طورٌ تسلّخ عنها محافظاً على معظم تراكيبها الصورفيّة العامة (الصوتية والصرفية)، ومبدلاً بعضها بما يتّفق مع استخدامات وطرق التلفّظ التي تضمّنت شيئاً من النظام الصوتي في اللهجات الليبية آنذاك. وفي تقصّي اختلاف الخصائص اللغوية التي اتسمت بها اللهجة الليبوفينيقية، قام أحمد الفرجاوي بدراسة النقوش القرطاجية في شمال أفريقيا، وخلص إلى أن ضعف النظام الصوتمي والصوتي كما أبانت عنه النقائش «يخوّل لنا الاعتقاد بأنها كانت لهجة فينيقية»،[1] أما الإشارة إليها بكونها «لغة»، فلا تعدو أن تكون تجوّزاً يبرّره انفصال قرطاج عن شرق المتوسّط، وتحوّلها إلى مركز متوسطي مستقل.

انعكس هذا التفاعل اللغوي على اللهجات الليبية بشكل مباشر، من ذلك مثلاً أن اللغة الليبية كانت «تفتقر إلى الحروف الأقصى حلقيّة، أما ما احتوته البربرية الحديثة من هذه الحروف فهو إما ناتج عن تطوّر، وإما عن استعارة من لغات أخرى»، وهو رأي اللغوي الفرنسي ليونيل غالان L. Galand.[2]

إن الليبية القديمة التي تحدّرت منها اللهجات البربرية (سلف الأمازيغيات الحديثة)، هي من الناحية الافتراضية لغة معظم سكان شمال أفريقيا في الأزمنة ما قبل التاريخية، ثم في العصور اليونانية والرومانية. لكن هذا التعميم تخمينيّ لا يستند إلى أي دليل واضح، بينما نجد دلائل عديدة تنفيه، أما إذا تتبعنا تعدّد اللهجات الأمازيغية الحديثة واختلافها، فإننا نتحدّث عن أربعين لهجة، بتعداد بيتس، وعن مائة لهجة، بتعداد فنطر[3]، ولعلها أكثر من ذلك في تداولها، ملاحظين أنها من الناحية النسقيّة (وفق أنساقها الإقليمية الرئيسية) تعتبر أقل من ذلك

---

1. الفرجاوي، 1993، ص155.

2. م.ن، ص.. ن.

3. فنطر، 2002، ص. 59.

بكثير، فهي بالرغم من اختلافاتها المعجميّة، تعود من الناحية الصورفيّة إلى بناء عام وسمات لغوية متقاربة، وإذا لم يُتّفَق على أنها لغة واحدة فإنها ترتبط ببناء أفروآسيوي واحد يشدّ أطرافها مثل عمود فقري.

5. الليبيون يتحدّثون الكنعانية

قبل تدمير قرطاج (146 ق.م.) كان سكان ليبيا القديمة يتحدثون مزيجاً من اللغة الليبية (ممثلةً في اللهجات البربرية الشمالية) واللهجة الفينيقية (الكنعانية) الجديدة (الليبوفينيقية)، وقد كانتا لغتا المحادثة والتعامل في شمال أفريقيا، وسادتا بوصفهما لغة مشتركة Lingua franca في المجالات الثقافية والتجارية قبل أن تحلّ اللاتينية وتُرَوْمِن شمال أفريقيا بعد الاحتلال لتصبح هي اللغة الرسمية السائدة، ولكن الليبوفينيقية ظلت مع ذلك مستخدمة حتى القرن السابع الميلادي، وتشير المصادر إلى أنها كانت منتشرة على نطاق واسع بين الأهالي، كما ظلت نسخ متفرقة من اللهجات البربرية القديمة منتشرة بين الأهالي حتى الوقت الحاضر في شكلها الحديث، أي اللهجات الأمازيغية الحالية.[1]

بعد سقوط قرطاج أصبحت اللاتينية لغة سائدة، وهو الدور الذي كانت قد لعبته اليونانية، بوصفها لغة الإدارة والثقافة والتجارة في حوض المتوسط، وعمّت اللاتينية جميع مجالات الحياة تقريباً، ولكن ذلك لا يعني اندثار اللهجة الليبوفينيقية المشتركة كما تحدثها الليبيون القدماء، أو اضمحلالها، فلقد استمرت لغةَ حياةٍ يومية، وتشير المصادر إلى أنها ظلّت لغة المحادثة على نطاق واسع حتى عصر متأخر.[2] وقد مثّلت الليبوفينيقية الثقافةَ الأصلية في أفريقيا

---

1. بسبب العزلة التي كانت عليها المجتمعات المحلية في الأقاليم الليبية نشأت ظواهر لغوية مميزة لكل إقليم عن آخر، ولكنها آخر الأمر ظواهر محلية طفيفة، وقد جرت مقاربة اللهجات الأمازيغية في نهاية القرن العشرين، فاختفت منها تلك الظواهر المميزة لكل لهجة عن غيرها، ونشهد في هذا الوقت (مع انقضاء الربع الأول من القرن الحادي والعشرين) استعادة اللغة الأمازيغية التي تضامّت عناصرها لتأتلف جسداً لغوياً واحداً، وعلى الأخص بعد ترميم التفيناغ بابتكار ما يتطلبه من تمثيل للقيم الصوتية المفقودة.

2. Millar, 1968, p. 126- 34.

الرومانية، بغض النظر عن نصوص الكتّاب الليبيين باللغة اللاتينية، فهم وإن لم يكتبوا بلغتهم الأصلية إلا أنهم كانوا حاملي ثقافتها التي تضمنتها كتاباتهم بشكل أو بآخر.

لقد تأثرت الليبوفينيقية بشكل عميق بعزلتها عن المحيط الفينيقي الأصلي، ولم يتم التعرف عليها من خلال مصادر أدبية متكاملة، فالمصدر الأساسي لها في المحيط الليبي كان النقوش الجنائزية والنذرية وعلامات الملكية، بالرغم من أنها ظلّت زمناً طويلاً يقدّر ببداية الفتح الإسلامي، لغةَ الحياة اليومية بين الأهالي. يمكن هنا أن نعيد التذكير بالأثر المشهور عن أغسطين: «أسأل الفلاحين من يكونون، فيجيبونك بالبونيقية [الليبوفينيقية] أنهم كنعانيون».

مع نشر وتعميم تعلّم اللاتينية في المدن والتجمعات الكبرى ذات الأسواق أو القريبة من المعسكرات الرومانية، لجأ الأهالي إلى تحصين المعاقل اللغوية الأصلية، وكانت تتمثّل في الأرياف المحيطة بالمدن وهي تخلو من الضرورات المدنيّة التي تحثّ على إتقان أو تعلّم اللاتينية، وفي هذه الأماكن حوفظ على نقاء اللهجات البربرية، لا في مدن المقاطعات التي كان الكثير من سكانها ينتمون إلى القبائل المترومنة. نتصوّر أيضاً أن الأهالي في ردة الفعل الثقافية تلك حافظوا على الليبوفينيقية (الكنعانية) كذلك، بالرغم من أنها كانت آخر الأمر «لغة مكتسبة»، إلا أن خصائصها الأفروآسيوية جعلتها بكل تأكيد أقرب إلى لهجات السكّان المحليين المتعدّدة، فكانت بذلك شكلاً من اللغة المشتركة التي يستخدمها الجميع دون اختلاف، وقد استمرت وفقاً لأرجح التقديرات –كما ذكرنا– حتى القرن السابع الميلادي، وما زال الكثير من مفرداتها كامناً في عمق اللهجات المحلية حتى يومنا هذا.

لقد أدرك الرومان في جميع مستعمراتهم أن الهيمنة اللغوية والثقافية عقب الاحتلال العسكري هي مفتاح الهيمنة المدنيّة أو الحضارية الدائمة، فكان نشر المدارس لتعليم اللاتينية شغلاً شاغلاً يأتي على رأس أولويات حكام المقاطعات والبلديات في شمال أفريقيا، لا في المدن فحسب، بل امتدّ ذلك إلى القرى القريبة،

فكان الأطفال يتعلمون «القراءة والكتابة والحساب على يد معلم أولي Litterator Primos في القرية، ثم يدرسون الآداب عن نحوي يشرح لهم قواعد النحو ومبادئ الموسيقى والعروض والفلسفة، وعندما يبلغ التلميذ السابعة عشر من عمره يترك النحو جانباً، ويقصد أساتذة المدن الكبرى مثل قيرطا وتبسة ومداوروش، كما كانت سوسة وطرابلس ولبدة محطّ أنظار الطلبة، لكن تبقى قرطاج هي العاصمة الفكرية».(1)

على هذا النحو تكوّنت النخبة الليبية المثقفة من الكتّاب مثل أبوليوس Apuleius، وفرميانوس Firmianus، وترنتيوس Terentius. والخطباء مثل أرنوبيوس Arnobius. والمربّين مثل مانيليوس Manilius، وفرونتيوس القرطي، معلّم ماركوس أوريليوس. واللاهوتيين مثل القديس أغسطين Augustin، وكبريانوس Cyprianus، وترتليانوس Tertullianus، وسابليوس Sabellius، وأريوس أمونيوس Arius، وكلاوديوس Claudius، وتورتيليانوس Tertulianus، والعشرات من الأدباء والشعراء والعلماء والمؤرخين.

6. الأبجدية الليبية و أبجدية التفيناغ

لم يؤد النجاح في معادلة الحروف الليبية القديمة بما يماثلها من قيم صوتية إلى فك شفرة اللغة وقراءتها حتى الآن. وراء هذا العجز الواضح، يكمن سببان اثنان: الأول هو أن جميع الحروف من الصوامت (مضمَرة الصّواتة)، والثاني هو اختلاف رسم الحروف من مكان إلى آخر. أما وجود ترجمات لاتينية أو ليبوفينيقية مرفقة في بعض الأحيان فلا يمكن توظيفه لأكثر من فهم النصّ الليبي بشكل عام، ذلك أن الذين كتبوا في الأصل كانوا الليبيين أنفسهم، وهم الذين أرفقوا الترجمة بهاتين اللغتين إلى لهجاتهم المختلفة، ولولا ذلك لبقيت النقائش اللغوية أحجيةً معمّاة إلى اليوم.

---

1. حارش، 1992، ص..220- 221.

(1) جميع العلامات تمثّل حروفاً صوامت، وهي من الخصائص الأفروآسيوية الغالبة، ولم يتمكّن الباحثون في الغالب من إدراج ما يتطلّبه نطقها من صوائت أو شبه صوائت، لأنهم لم يتوصّلوا إلى نموذج معياريّ ثابت يستطيعون باستخدامه «إسالة» صُمُوتة الحروف.

(2) اختلاف رسم الحروف من منطقة إلى أخرى، ويرجّح أن ذلك يضمر أساليب تلفّظٍ محلية مختلفة عن بعضها بعضاً، بل قد لا تؤدي الحروفُ القيمَ الصوتية نفسها، حتى مع تماثل الرسم، فهي أقرب إذن إلى أن تكون تدويناً يمثّل اللهجات القديمة، دون أن يمثّل بالضرورة لغة معيارية واحدة، بالرغم من أن تلك اللهجات تنتمي جينالوجياً إلى العائلة نفسها.

إن الصورة العامة التي يجب أن توضع فيها النقوش الليبية في جينالوجيا اللغة، هي الآتي: النقوش الليبية القديمة تعبّر عن أكثر من لهجة، ولا تمثّل لغة معيارية موحّدة. لقد ابتكر الليبيون القدماء هذه الخطوط بأنماط مختلفة، أي إن نشأتها كانت في الأصل محليّةً، متأثرةً في الوقت نفسه بما كان سائداً من كتابات، ولكن لم يحدث أن توحّدت الأنماط في نظام كتابةٍ واحد.

ثمة ملاحظة مهمة هنا، يمكننا الاستدلال بها في تأكيد هذا الطرح، ففي تحليل نشأة الكتابة الليبية يستعين محمد غانم بملاحظة ج. ب. شابو J.B. Chabot في كتابه «مجموعة نقوش ليبية» Recueil des inscriptions libyques (1940)، لتأكيد أن معظم النقوش الليبية وُجِدت «في المناطق الشمالية التي تأثرت بالحضارة البونيقية في شمال غربي تونس وشرقي الجزائر، ويتناقص وجود تلك النقوش كلما توغلنا في أملاك الدولة القرطاجية نحو الغرب أو الداخل»، ويضيف أن تلك النقوش: «في الجزائر كانت قد التُقطت من الركن الشمالي الشرقي بداية من غرديماو [غار الدماء] (تونس)، فمنطقة الشافية وبوحجار (الجزائر)، ثم أولاد بشيح، وتمتد جنوباً حتى تبسة، وتعم منطقة الأوراس وسطيف، ويقل عددها كلما اتجهنا غرباً بحيث لا يزيد عددها عن سبعة أو ثمانية نقوش في الغرب الجزائري بأكمله، وتتناثر في المغرب الأقصى حول المستوطنات الفينيقية-البونية

[الليبوفينيقية]».[1]

تؤكّد هذه الملاحظة العمليّة المهمّة تأثير نظام الكتابة الفينيقي، خلال القرن العاشر ق.م. على ابتكار الكتابة الليبية، لا من حيث اقتباس العلامات الفينيقية، فالتماثلات رسماً ولفظاً قليلةٌ (وجد هاليفي أثناء مقارنته بين الأبجدية الليبية والفينيقية أن ستة من أصل ثلاثين حرفاً تتماثل رسماً وصوتاً[2]. انظر الشكل 3)، بل من حيث استعارة نظام ثقافي ينقل مستخدميه من المشافهة إلى الكتابة، وإن هم كرّسوا ذلك لأغراض طقسيّة أو عقيدية محدودة في ما بعد. إن الأخذ بهذا الرأي (أي استعارة النظام، لا العلامات)، ينسحب كذلك على اللاتينية واليونانية اللتين كانتا معروفتين في شمال أفريقيا.

ثمة رأي آخر يذهب إلى اقتباس الكتابة الليبية عن الكتابات الصفائية أو الثمودية، ويستند هذا الطرح على تماثلات دقيقة في رسم بعض الحروف، ويبدو رأياً وجيهاً من ناحية تطابق الرسم، أي بمقارنة أشكال الكتابة، ولكنه يظلّ مجرّد افتراض نظريّ ما لم تؤد دلائل علمية إلى تحديد أزمنة الهجرة والترحال من (أو إلى) جنوب-غرب الجزيرة العربية، خاصةّ وأنه لا سبيل أمامنا الآن لمقارنة أساليب التلفّظ في اللغة الليبية القديمة بالصفائية أو الثمودية، أو بغيرهما في الوقت الحالي.

ثمة من يعود، من ناحية أخرى، إلى افتراض أن الكتابة الليبية نشأت قبل القرن الثالث أو الثاني ق.م[3]، وهو الزمن الذي يؤرّخ به أقدم النقائش. إن كل فرضية إنما هي رهن أدلّتها، ولا شيء ينفي آخر الأمر إمكانية العثور على نقائش أخرى من الكتابة الليبية أقدم عهداً من القرن الثالث ق.م. عندئذ يمكن ترجيح هذا الرأي المحدود.

---

1. غانم، 1990، 35.

2. انظر: بيتس، 1914، 85.

3. يتعلّق الأمر هنا بنقش دقّا المزدوج (تونس)، ويعود إلى 139 ق.م، كتبه مكوسن (مقيبسا) تخليداً لذكرى أبيه مسنسن (ماسينيسا).

من بين الآراء التي احتلّت موقعاً متميزاً في هذا الجدل، رأي يخلط بين الكتابة الليبية والتفيناغ، ويقول بالاقتباس عن اليونانية. فقد رأى ليونارد كينغ L. W. King (1903) أن التفيناغ، وفقاً لأوغسطس كين A. H. Keane، وصل إلى أفريقيا عن طريق الفينيقيين، وأننا بحذف حرف التاء (أداة التأنيث) فإننا نجد فيناغ التي لا تعني سوى فينيق، أي الكتابة الفينيقية (وهي فرضية تعود إلى أدولف هانوتو A. Hanoteau في كتابه «بحث في قواعد التماشك» (1896) Essai de grammaire Tamachek، ولكنه يقوم بقفزة واسعة بعد ذلك، فيقترح أن الأبجدية التارقية قد وصلت إلى التوارق باستلهام نظام الأبجدية الإغريقي أو عبره (الشكل 4)، دون أن يشير ثانيةً إلى أن نظام الأبجدية الإغريقية مشتق من الفينيقية نفسها، أي أن الأولى هو أن تُقارَن كتابة التفيناغ بالكتابة الفينيقية لا الإغريقية. ولكن من المهم هنا أن نشير إلى معطاة أخرى تدعم فرضية الأصل الإغريقي، وتتمثّل في رأي كان قد أبداه أوتو ملتزر Otto Meltzer في كاتبه «تاريخ القرطاجيين» (1879) Geschichte des Karthager، يقول أن الملك النوميدي مسنسن (ماسينيسا) الذي عاش حتى 148 ق.م. هو من قام بابتكار خطوط التفيناغ، فإذا أضفنا إلى ذلك انفتاح نوميديا على الحضارة الهيلينية ثقافياً ومعمارياً، وصلتها بالمدن اليونانية في زمن مسنسن، أمكننا أن نعيد لفرضية الأصل الإغريقي بعض الاعتبار، وأن نقبل بها جزئياً.

الليبية	الفينيقية	القيم الصوتية	
𐤂، ∠	𐤂	گ	G
Z	𐤉	ي	I
⊐	𐤌	م	M
|	𐤍	ن	N
W	𐤔، Ш	س	S
X، +	X	ت	T

ش.3: تماثلات حرفية بين الفينيقية والليبية أوردها هاليفي

إن تنوّع الفرضيات يثري هذا المبحث ويثير الجدل، ويبدو أنه سيظل كذلك لفترة طويلة قادمة، قبل أن يتواضع الباحثون على البتّ فيه، جزئياً أو كلياً. أما بعض متحدثي الأمازيغية أنفسهم فيميلون إلى الدفاع عن ولادة التيفيناغ في ليبيا منذ القدم دون اقتباس أو استعارة، ولكن الأمر لا يتعلق بدفاع أو هجوم، بل بتحليل النمطيّات وبحث المعطيات التي تَثبُت دقّتُها.

تحاول جميع هذه الآراء، دون استثناء، «مطّ» جزئيات بعينها لتعمّمها فتجعل منها قاعدةً تفسر نشأة التفيناغ. ولكن التسليم بمصدر واحد يوكل إليه أصل الكتابة لا يبدو متوافقاً مع فكرة ابتكار الكتابة نفسها! إذ لا يمكن في الحالات المشابهة تصوّر «حدث» ذي أبعاد ثقافية واجتماعية أو «إثنية» مثل هذا قد برز فجأة إلى الوجود دون تصوّر مراحل نشأةٍ متتابعة، والكتابة تحديداً ليست اختراعاً طارئاً بل هي ابتكار متطوّر بطيء، ومثال ذلك ما نراه من نشأة الكتابة الأولى في المهد الأفروآسيوي (بلاد الرافدين ووادي النيل). ويظل التساؤل متردّداً بين ما إذا كان علينا أن نحاول تتبّع نشأة خط التفيناغ في سلسلة من التدرّجات التي جعلته ممكناً، وأعطته شكلاً ثابتاً عبر مراحل زمنية مختلفة، أو نأخذ بتظافر بعض العوامل ومساهمتها مجتمعةً في تكوّن الكتابة، وقد تتنوّع هذه العوامل بين الابتكار المحلّي والاقتباس من نماذج أخرى سابقة.

إن فرضية المورفولوجيات اللغوية بمراحلها الثلاث، كما طرحناها في مقدمة هذا البحث تلغي جزءاً كبيراً من الجدل المتعلّق بنشأة الكتابة في ليبيا القديمة. أما تاريخ العلامات الليبية القديمة فهو غير محدّد على وجه الدقة، ولكن هناك آراء عديدة بالخصوص، ربما يكمن أهمّها في ما أوضحه عالما المصريّات آرثر إيفانز A. Evans وفلندرز بتري F. Petrie من أن العلامات الخطية التي وجدت على الفخار المصري ذات صلة بخط الكتابة الليبية، وهي علامات غير هيروغليفية كما أنها أقدم منها.

□□□

تدلّ هذه الإشارة الموجزة على أن الليبيين الشرقيين كانوا يعرفون الكتابة قبل ظهور الهيروغليفية، أي منذ 3000 ق.م.[1] وأنهم كانوا يستخدمون نمطاً خاصاً بهم، ونحن لا نعرف أكان أبجدياً أم تصويرياً، أو كان غير ذلك، فهو حتى الآن جزء من تراث مفقود تبعثرت أجزاؤه، بعد أن لم يترك لنا أولئك الليبيون أثراً مادياً واضحاً يُستدلّ به، ولا سبيل إلى استظهاره ثانيةً سوى بالسعي إلى جمع ما تبقى من علامات الكتابة الليبية الشرقية أينما وردت، وإعادة تصنيفها، ومقارنتها بعلامات الكتابة الليبية الغربية، أي غرب ليبيا القديمة،[2] تلك العلامات الواضحة التي «لا تزال عصيّة على القراءة».

من السائد القول بأن التفيناغ أبجدية متطورة عن الأبجدية الليبية القديمة، يستخدمها الأمازيغ والتوارق، مع اختلافات طفيفة بينهما. لكن ذلك لا يعبّر في الحقيقة عن شيء محدّد، فتماثل بعض حروف التفيناغ مع الكتابة الليبية القديمة أشبه ما يكون بتماثل التفيناغ مع خط المسند، **حيث** يمكن العثور على العديد من التشابهات في رسم الحروف، ولكنها لا تؤدي القيمَ الصوتية نفسها. التماثل شكليّ بحت إذن، ولا علاقة فعلياً بين التفيناغ والكتابة الليبية، مثلما لا علاقة يمكن تتبّع تطوّرها بين الأمازيغية الحديثة واللغة الليبية القديمة، دون افتراض حلقة وسطى بينهما تتمثّل في سلسلة طويلة غير منتظمة من اللهجات البربرية القديمة (انظر المرحلة السادسة (ل6، ل6أ)، في الشكل 2).

لقد اكتشف الليبيون في زمن ما من الألف الأول ق.م. (ربما في القرن الثالث أو قبله) أهميةَ هذا الابتكار (الكتابة)، وطرافةَ أن يُرسم الكلام البشري فيصير مرئياً

---

1. انتقد إريك بيتس في «الليبين الشرقيين» (الملحق الثاني، ص..253)، فرضية بيتري التي أعلن عنها في «الجيزة وريفا» Gizeh and Rifeh (1907) (ص..52)، حيث نسب النقوش إلى «مصدر سامي». الفكرة الأساسية التي انطلق منها بيتري آنذاك تشي بأن الكتابة الليبية أقدم بكثير من التاريخ الذي تُنسب إليه (القرن الثالث ق.م.)، ولكن قِدم النشأة يتعلّق بأنظمة أخرى مجهولة، ولا يتعلّق بالتفيناغ أو الكتابة الليبية المعروفة باسم الليبية البربرية Libyco-Berber.

2. انظر الهامش السابق حول ليبيا الشرقية وليبيا الغربية.

ويبقى خالداً لا يضيع، فبادروا إلى اصطناع نسختهم الخاصة في أكثر من مكان، دون أن يُقدموا على الخطوة الأخيرة التي تتطلّبها هذه «الاختراعات»، أي أن يُوحَّد نمط الكتابة لكي تنتشر ويسهُل تداولها، ولكن تلك الخطوة لم تكن ضروريةً كما يبدو، لغياب أهم أسبابها وهو الحاجة إلى تعميم استخدامها بين الأهالي، بسبب وجود لغة مسيطرة فرضت كتابتها تلقائياً، الليبوفينيقية أولاً، ثم اللاتينية. إن وجود هاتين اللغتين بنظاميهما المتميزين في التدوين، كان سبباً وراء بطء تداول الكتابة الليبية، وأدى إلى تحاتّها تدريجياً، فلم تتطوّر لتصبح نظام كتابة متكاملاً، واقتصر وجودها على تلك النماذج البدائية التي عثرنا عليها تباعاً، وأن تكون الليبوفينيقية واللاتينية وحدهما هما اللتان وُجدتا على عدد من النقائش مع النصوص الليبية، فإن ذلك يتمثَّل بشكل واضح ما كان يدور من صراع ليبوفينيقي روماني، ومدى انعكاسه على الحياة في شمال أفريقيا، إذ حتى مع ابتكار نمط كتابة خاصّ ظلت الكتابتان الليبوفينيقة واللاتينية حاضرتين بقوة.

الحرف Value	التارقية Tawarek	مراحل محتملة للتطور Probable Stages of Development	الإغريقية Greek	الليبية Libyan
Ā, Ī or OU	•		O (=OMICRON)	
G	˙I˙	= ⊤ = ⅂Γ	⅂ or 1	⌐
G		or = ˙I = ⅂		
G'	ⴵ	= ⴵ = ⴳ		
D	U, ⊔ or Λ	•Ↄ = D or ⊐ = Ↄ = D	D or Δ	∃ or ⵎ
Dh	ш	▪∃ = ∃ = ∃		
W	:	= ⚌ =	F (=DIGAMMA)	=
Z	ⵣ	= ‡ =	Ɪ (= Z)	
Z'	⌗	= Ⲡ =		
J	Ɪ			
S	⊙		⊙ (= θ)	
Y or I	ⵞ or ʃ		ⵞ or ʃ (= ι)	
K	⁘ or ⁘ or ⁘	= K =	K	
L	‖	= /\ =	Λ	
M	⊏	= Σ =	M	
N	I	= ᚨ =	ᚨ	
ق	•••	= ‖‖ = ≡ =	Ξ (= ξ)	‖‖ ?
غ	⋮	▪ ⊇ ▪		≡ ?
R	O or □		D	
T	+		T	T ?
F	][or ⵟ	= Ɪ =	⊞ (= Ø)	8
Kh	⁘	▪ ⌑ or X	⊟ or X (= Χ)	X ?
Sh	Ↄ	▪Ↄ = Ʃ =	ⵞ (= S)	ʒ
H	⋮	▪ ≣ ▪	≣ (ETRUSCAN)	

ش. 4: الأبجدية التارقية (مقارنة بالإغريقية). وفق كينغ: 1903

7. قراءة «لغة أكاكوس»

إن مردّ تداخل نصوص النقوش الليبية هو عدم تمثيل اللغة بأبجدية واحدة، ولأن هذه النقوش وُجدت في أزمنة متقاربة جداً فإننا نواجه بالتالي ترجيحاً مفاده أنها وُضعت وضعاً (الفرضية التي جمعنا فيها بين رأيي ملتزر وكينغ)، أي أنها لم تتبع مسار نشأة تدرّجية كالتي نشهدها في تجارب ابتكار الكتابة في الشرق الأدنى.

يبدو أن الكتابة الليبية وُلدت أبجديةً منذ البداية، أي أنها لم تمر بمراحل تطوّرية نقلت أساليب تمثيل الكلام عن طريق الكتابة من مرحلة تصويرية أولى إلى أخرى أكثر تطوراً واستخلاصاً، وصولاً إلى التمثيل الأبجدي، وهو ما يرجّح أن الكتابة بدأت محاكاةً لنظام أبجدي آخر هو الأبجدية الفينيقية التي تعتمد على إظهار الحروف الصامتة وإضمار الصوائت.

لم تعرف أبجديات الكتابة الليبية والتفيناغ الجنوبي والتفيناغ الشمالي ما هو متعارف عليه من مراحل بناء تدرّجية في البيئات المحلية، بدءاً من المراحل البكتوغرافية إلى التخصيص الأبجدي. نحن وإن كنا نعتقد أن الفنون الصخرية تمثّل أصلاً بعيداً موغلاً في القدم قد يمثّل أساسَ مرحلةٍ ما مجهولة في نشأة تلك الأبجديات، إلا أننا نميل دون شك إلى ارتباط تلك الفنون بالمراحل الهيروغليفية-البدئية protohieroglyphic في مصر، إذ تبدو أقرب لها من الأبجدية الليبية التي تطغى عليها أشكال مزوّاة منتظمة، وهذا يعزّز بقدر ما فرضية عزل نشأة الأبجدية الليبية عن تلك المصادر الصخرية ولكنه لا ينفيها في الوقت نفسه.

لنعد التذكير بأن رحلة تدوين اللغة ونشأة الكتابة بدأت في مختلف الحضارات بمرحلة تصوير سطوح الأشياء بخطوط تختزل أشكالها العامة، للإشارة إليها عن بعد، وتحتفظ سجّلات سلسلة أكاكوس الجبلية في الصحراء الكبرى جنوب شرق الجزائر وجنوب غرب ليبيا وشمال تشاد، بقدر وافر من المواد التصويرية غير المنتظمة التي نميل إلى أنها مثّلت سلفاً مباشراً لنشأة الهيروغليفية في مرحلتها البكتوغرافية من جهة، ومثّلت أيضاً سلفاً غير مباشر للتيفيناغ البدائي من جهة

أخرى، وهو ما أحاول أن ألفت إليه الانتباه هنا. ولكن لماذا نقول «سلفاً غير مباشر» في نسبة التفيناغ إلى رسوم أكاكوس؟

لم تتطوّر وحدات السجلّ الأكاكوسي البكتوغرافية عن أشكالها الأولية كثيراً، وذلك بحكم انقطاعها، أي بفعل الجفاف العظيم الذي قاد الهجرات إلى وادي النيل حيث كان شماله قد تحوّل من طبيعة المستنقع إلى أرض صالحة للتوطّن والاستزراع. ونذهب إلى أن تصنيف وفهرسة وثائق أكاكوس يمكن أن يؤديا إلى التعرّف على الأشكال النمطيّة التي تطوّرت إليها البكتوغرافيات المصرية في وادي النيل بالتزامن تقريباً مع الكتابة الصورية (ما قبل المسمارية) في بلاد الرافدين.

لقد عمّ الجفاف سهوب السافانا في ليبيا القديمة على مدى مراحل طويلة كان آخرها في الألف الأولى ق.م. فحولها إلى ما أصبح يُعرف بالصحراء الكبرى، وقضى على مظاهر الحياة السابقة فيها، بعد أن هاجر معظم سكان الصحراء إما إلى مصر السفلى (دلتا النيل) ومصر العليا (الصعيد)، أو باتجاه السواحل الشمالية وجبال الأطلس (بالإضافة إلى الجنوب حيث بحيرة تشاد وحوض نهر النيجر وغيرهما من مصادر الماء)، وإذا سلمنا بأن هذا الامتداد الشاسع لم يخل دائماً من السكّان فإبمكاننا أن نتصور تلقائياً أن الصحراء تُوطّنت دائماً بعدد قليل من الجماعات التي تحوّلت إلى نمط رعوي صحراوي استمر على مرّ العصور اللاحقة، ومن تزايد وانتظام هجرات السكان الأولى إلى وادي النيل، بالإضافة إلى هجرات أخرى وفدت من الجنوب والشرق، حاملةً مختلف أساليب التواصل والخبرات والعناصر الأساسية التي أنتجت في وقت مبكّر وسطاً حضارياً جديداً، ابتُكرت الكتابة ونمت في سلسلة تطوّرية عبر مراحل متعددة.

إن مسح سلاسل التعبير التصويرية في أكاكوس وتحديد أنماطها سوف يكشف عن بعض مصادر ابتكار المرحلة البكتوغرافية العتيقة Archaic في المصرية القديمة (3400- 3000 ق.م.) أي في عصر ما قبل الأسرات وقبل توحيد شطري مصر. التجارب الإنسانية في بداياتها غالباً ما تكون متشابهة، قبل أن تأخذ سياقاً محلياً يضفي عليها سمات متميزة، كما في وادي النيل حيث ابتُكرت الأبجدية

الهيروغليفية، وبلاد الرافدين حيث ابتُكر المسمارية المقطعية، وإذا كنا نستطيع الآن أن نتحدث عن أثر سومري واضح في نشأة المرحلة البكتوغرافية المصرية، فلأن توفّر الشواهد المقارنة يحسم هذه المسألة، على أننا بوجود وديمومة سجلات ووثائق أكاكوس، يمكننا التعرّف من جهة أخرى على أثر ليبي واضح في تأثيث هذه المرحلة، ضمن فرضية عامة تستند إلى أن التواصل بين مصر وليبيا القديمتين كان يشمل مختلف الأنماط الاجتماعية والثقافية، ويقع ضمن ذلك اللغة والكتابة، وهو ما أشرنا إليه آنفاً من خلال النموذج الذي قدمه عالما المصريّات إيفانز وبتري ويؤكّد أن العلامات الخطية التي وجدت على الفخار المصري ذات صلة بخط الكتابة الليبية وتُصنَّف بأسبقيتها الكرونولوجية على نشأة العلامات قبل الهيروغليفية.

على اتجاه الهجرات الثاني، أي من الجنوب إلى السواحل وجبال الأطلس، كان الأمر أكثر انتظاماً ووضوحاً، ويمكننا القول أن بكتوغرامات أكاكوس قد أنتجت نمطاً مبكراً من الكتابة، وإن بشكل غير مباشر، فابتكار خطوط التفيناغ لم يكن تطوّرياً، لأنها وُجدت في أزمنة متقاربة، أي إن نشأتها لم تتطوّر مرحلةً عن أخرى، ما يجعلنا نميل إلى القول بأن وجودها في فترة محدودة تاريخياً يشي بأن ابتكارها كان وضعاً ومحاكاةً ولم يكن تسلسلاً، وأنها ربما أُقتُبست عما كان شائعاً من فنون الأيقنة التي مثّلتها الوشوم والأيقونات النصبيّة، وهي أشكال يكون من الصعب تتبّع مراحل تطوّرها الأيقونوغرافية iconographic، وإن سلّمنا بصلتها بالأشكال التي جسّدتها رسومات أكاكوس، فتلك الوشوم التي زيّن بها الليبيون (رجالاً ونساءً) أطرافهم وأجزاء من أجسادهم، وتلك الأيقونات التي نُقشت أو رُسمت على الأنصاب أو على الفخاريّات، نجدها تتكرّر بشكل أو بآخر في نحتيّات petroglyphs أكاكوس منذ القدم.

لتتبع هذا «المصدر الأيقونوغرافي» قمت بإعادة تدقيق الوشوم التي نشرها إريك بيتس عام 1914 في «الليبيين الشرقيين» (الأشكال 16، 48، 52، اللوحة 3)، ومماثلتها بحروف التفيناغ التارقي من نسخة أدولف هانوتو A. Hanoteau التي

نشرها سنة 1896 في «بحث في قواعد التماشك» Essai de grammaire Tamachek، وسوف أقدّم هذه اللمحة التي آمل أن تحفّز الباحثين المعنيين بتاريخ الكتابة، على إيلاء النماذج الإيقونوغرافية القديمة في شمال أفريقيا قدراً أكبر من الإهتمام، وإدراجها مصدراً من مصادر نشأة الكتابة الليبية (أشير بحرف ب إلى بيتس، يليه رقم الشكل).

- حرف «ت» + يماثل الوشم + (ب52) تماماً.

- حرف «ل» ǁ هو الوشم ǁ (ب52) نفسه، ويدل شطره على حرف «ن» ǀ.

- يمثل شكلا الدائرة والمربع حرف «ر» ○، □، وهما يتكرّران وشماً بطرق متشابهة، انظر مثلاً اللوحة 3، وقد أنتجا حرف «ب» Φ، ◫، وكذلك حرف «س» ⊙، ⊡، وهو نفسه الرسم ⊙ الذي يزيّن درعاً جلدياً (ب 16)، ويزيّن عباءة أحد الليبيين (اللوحة 3). إن رسم حرف «ش» ℈ مثلاً، لا يختلف كثيراً عن حرف «م» ⊐، وهذا بدوره لا يختلف عن حرف «د» ⊔، ونستطيع اعتبار المربع والدائرة أصل هذه الحروف.

- يماثل حرف «ك» ∴، وحرف «خ» ∷، الوشم ⁘ (ب 48).

- يماثل حرف «ق» ∙∙∙ الوشم ∙∙∙∙ (ب 48).

- يماثل حرف «هـ» ⁞ الوشم ⁞ (ب 48)، ومنه يُجتزأ حرف «و» ⁚.

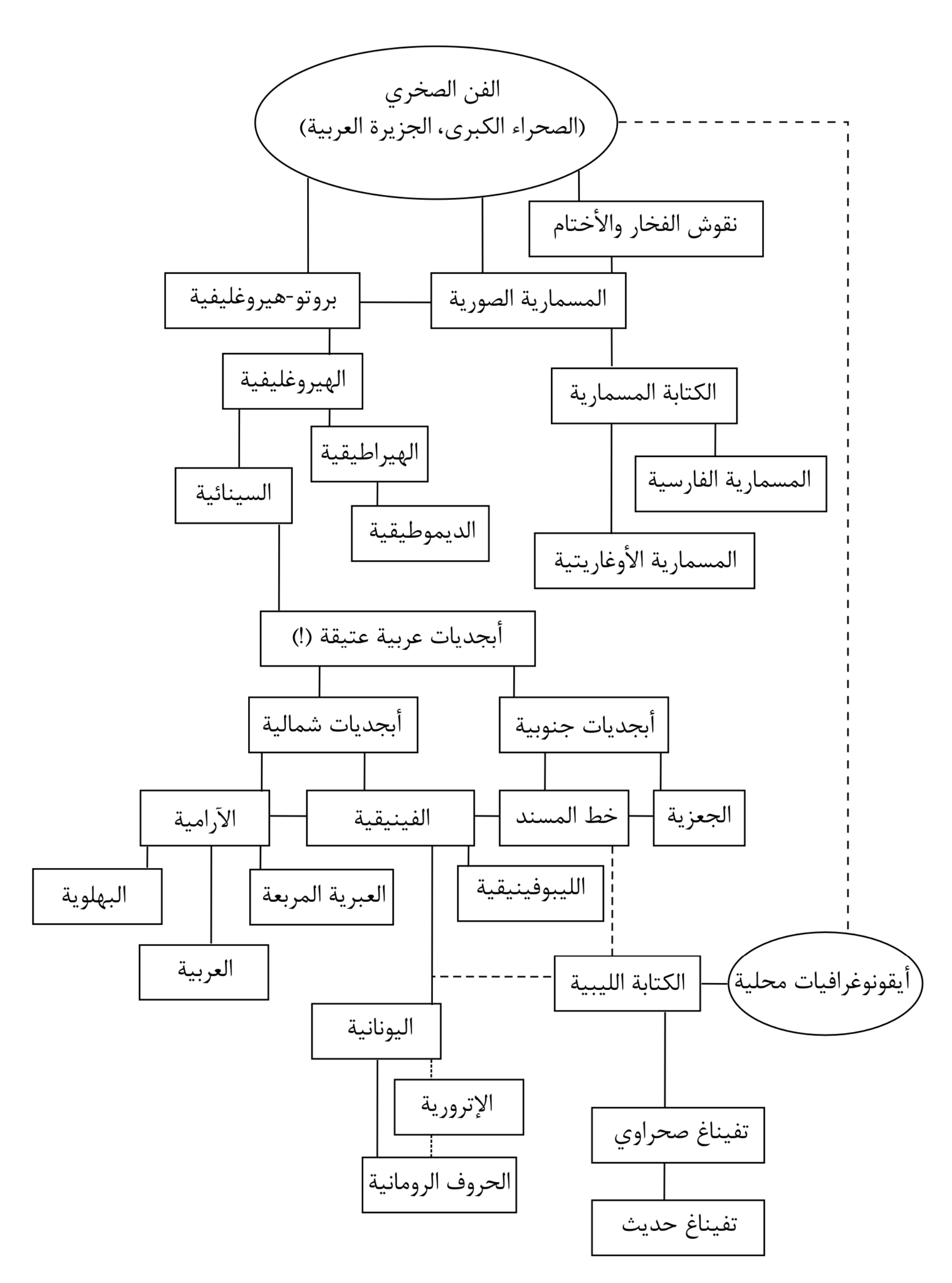
- يماثل حرف «ي» ≤ الوشم ⋀⋀⋀ (ب 48) برسمه عمودياً.

تعتمد هذه اللمحة على مرجع واحد هو وشوم الليبيين القدماء كما نقلها بيتس. بعض الأشكال يبدو متطابقاً، والبعض الآخر يعتمد على طريقة رسمه أفقياً أو عمودياً أو مجتزءاً، ومن خلال هذا العدد القليل من الوشوم أمكننا أن نفسّر مباشرةً نشأة عشرة حروف من الأبجدية التارقية (وخمسة حروف أخرى بشكل غير مباشر)، فماذا لو أن تصنيفاً منهجياً جمع قدراً أكبر من الوشوم من مصادرها التاريخية (المصرية والليبوفينيقية والنوميدية، ...)، بالإضافة إلى نمذجة الأشكال

الأيقونوغرافية النصبيّة وتصنيفها؟ سوف تكون النتيجة كما أتوقّع هي تحديد مصدر الكتابة الليبية (الشرقية والغربية والجنوبية)، فضلاً عن أن جميع هذه الأشكال مرقونة مسبقاً على جدران أكاكوس.

هل رسم الليبيون والليبيات القدماء حروفاً على أطرافهم، أم إن الوشوم التي رسموها هي التي أنتجت حروف الكتابة الليبية؟ إن الشطر الثاني من السؤال يتضمن الإجابة بكل تأكيد، لسبب بسيط وهو أننا نعثر على هذه الوحدات (الحروف) في زمن متأخر جداً عن ظهورها في شكل أيقونات تزيينية، سواء في سجلات أكاكوس أو في السجلات المصرية، أو في شكل وشوم ظلّت متواترة حتى بدايات القرن العشرين. إن مجال البحث يبدو شحيحَ البيانات، وهو مبحث دقيق جداً من الناحية التقنية، لأنه يرتبط بجماليات قديمة لم تعد موادّها متاحة، ولا نكاد نعثر إلا على صدًى باليوغرافي يردّدها في ما تبقّى من صور الوشوم التي تسارع انقراضها منذ منتصف القرن العشرين، بعد أن لم يعد الوشم جزءاً من الهوية الشخصية أو الاجتماعية، وصار التخلّص منه محمدةً حضارية.

إن أحد الموضوعات التي تتطلب بحثاً دقيقاً، في إطار علم الدراسات الليبية، يستدعي العودة إلى رسومات أكاكوس وتصنيفها كرونولوجياً وبكتوغرافياً للتعرف على تطوّر تقنياتها في مختلف الأدوار، وأذهب إلى أن هذه الرسومات يمكن قراءتها، حرفياً لا مجازاً، ولعل الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هي تتبع دورها في تطوّر الكتابة الليبية القديمة، ودراسة تطوّر بكتوغرافات المرحلة العتيقة التي أنتجت الكتابة المصرية. أتوقّع بهذا الصدد أن يكتشف الباحثون وحدة هذا الأصل الذي اتّخذ لاحقاً مسارين متميّزين عن بعضهما بعضاً (شرقاً وشمالاً). آنذاك لن تُرى رسومات أكاكوس بوصفها سجلاً تصويرياً حافلاً بالمشاهد البدائية فحسب، بل ستُفكّ أحجيتها، وتُكتشف فيها نصوصٌ تركها لنا الليبيون القدماء، نصوصٌ قبعت هناك على مدى آلاف السنين، **ولم تُقرأ بعد.**



ش. 5: موقع الكتابة الليبية والليبوفينيقية في مسار نشأة وتطور الكتابة

Transcription	نقحرة	التفيناغ (كتابة تارقية)	الكتابة الليبية (مصادر مختلفة)
b	ب	◫ ⴱ	⊡ ⊞ ⴱ ⊙
t	ت	+	ⴺ IIII × +
d	د	⊓ ∧ ⊔	⊓ ⊏ <
j	ج	ⵊ	
ẓ	ژ	⋕	I H
z	ز	ⵣ ⵣ	ⵎ ʍ – ⵊ
r	ر	○ □	○ □
s	س	⊙ ⊡	8 ⧖ ⧻ w c
ğ	ڨ	ⵘ ⵗ	
g	گ	⋊	∩ Γ 1 ↽
f	ف	⌶ ⌶	∀ ⧗ ⧖
l	ل	ǁ	ǁ =
m	م	ⵎ	ⵎ ⊃ ⊔
n	ن	ⵏ	ⵏ –
k	ك	.:	⇐ ⇋ ΛI IΓ
q	ق	⋯	÷
ġ	غ	⋮	÷
š	ش	ʚ	Ш ≥
h	هـ	⁞	III ≡
ḍ ṭ	ط ض	∃	϶– ≻– ≻– IIII
ḫ	خ	⸬	
w	و	:	ǁ =
y	ي	ⵢ	Σ Z N И

ش. 6: الأبجدية الليبية (عن مصادر متعددة) وأبجدية التفيناغ التارقية (عن هانوتو)

■ مراجع:

حارش، محمد الهادي؛ **التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1992.

العروي، عبدالله؛ **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996.

غانم، محمد الصغير؛ **النقوش الليبية في شمال أفريقيا، المصطلح والرموز الكتابية**، المورد، مجلد 19، عدد2، بغداد، 1990.

الفرجاوي، أحمد؛ **بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة**، بيت الحكمة، تونس، 1993.

فنطر، محمد حسين؛ **اللوبيون، وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة؟** مجلة الدراسات الفينيقية والآثار اللوبية، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002.

كامب، غبرييل؛ **البربر ذاكرة وهوية**، ت: عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.

هيرودوت؛ **الكتاب السكيثي أو الكتاب الليبي**، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2003.

Bates, Oric; ***The Eastern Libyans, an Essay***, Macmillan and Co., London, 1914.

Breasted; ***Ancient Records of Egypt, Historical documents***, Parts I, IV, University of Chicago press, 1906.

Manassa, Colleen; ***The Great Karnak Inscription of Merneptah: Grand Strategy in the 13th Century BC.*** Yale Egyptological Studies (5), Yale University, 2003.

Millar, Fergus; ***Local cultures in the Roman Empire: Libyan, Punic and Latin in Roman Africa***, The Journal of Roman Studies 58, 1968.

القبائل الليبية ومصر القديمة...
علاقةُ علاماتِ الاستفهام الكبرى

الصديق بودوارة المغربي*

مقدمة:

كانت المصادر المصرية قد ذكرت الكثير عن القبائل الليبية منذ عصر ما قبل الأسرات، ومنذ الألف الرابعة قبل الميلاد كان «مقبض سكين جبل العركي» قد قدم لنا أولى الشواهد على وجود علاقة متوترة مشحونة بالعداء بين الطرفين، ثم كانت «لوحة الأسد والعقبان» إضافةً أخرى إلى هذه المعلومات القيمة حول الليبيين القدماء في عصر ما قبل الأسرات، وتلتها «لوحة التحنو» التي عُثر عليها في أبيدوس في مصر العليا، والتي كانت كنزاً حقيقياً من المعلومات عن جزءٍ من هذا التاريخ المشحون.

فإذا انتقلنا إلى عصر الأسرات، وجدنا أن المصادر المصرية أصبحت أكثر وضوحاً وتحديداً في ذكر تفاصيل هذه القبائل، وأصبحنا نعرف المزيد عن مسميات قبائل أخرى مثل الليبو والمشوش، وقبائل أخرى يبدو أنها كانت أقل تأثيراً في مسار الأحداث.

وفي كل هذه المعطيات التاريخية كانت العلاقة بين هذه القبائل وبين الدولة المصرية القديمة تمرّ بأطوارٍ متفاوتة من الهدوء والتصعيد حسب ما كانت تقتضيه طبيعة الظروف في ذلك العصر.

إلا أن التفاوت في تقييم هذه المصادر لطبيعة هذه العلاقة، والتناقض الذي شاب بعض التفاصيل التي أوردتها المصادر، جعل من هذه العلاقة موضعاً لعلامات استفهامٍ كبيرة جديرة بالبحث والتأمل والتحليل والمقارنة.

(*) أستاذ التاريخ القديم، باحث مستقل.

بداية الاحتكاك

الزمن: عصر ما قبل الأسرات[1] في مصر القديمة، والحدث: لوحة متقنة تعود لملك الوجه القبلي في مصر آنذاك، وهو الملك العقرب،[2] والموضوع تصوره اللوحة خير تصوير.

إن هذا الأثر الهام يُقسّم إلى أربعة صفوفٍ أفقية، وقد شُغلت ثلاثةٌ منها بصور كباشٍ وحميرٍ وثيران، فيما صوّرت على الصف الأخير شجرةٌ أرجعها البعض إلى أنها شجرة زيتون، ونُقشت أمامها علامةٌ تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابية، وتدل على كلمة «تحنو»، قد يكون المقصود بها الأراضي الشمالية الشرقية من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتا.[3]

إن هذا الشاهد التاريخي الذي يتكلم بلغة الوصف والتصوير المشهدي، بحكم عدم وجود نص مصاحب له، وهو يُعرف أيضاً باسم آخر هو «لوحة التحنو»، وهي تصور على إحدى وجهيها المدن السبع التي استطاع هذا الملك أن ينتصر عليها،

---

1. **عصر ما قبل الأسرات** : هو العصر الذي يغطي كامل مرحلة «عصر النحاس»، وهو العصر الذي مثّل مرحلة حاسمة في تاريخ الحضارة المصرية مهّد الطريق لقيام أول وحدة سياسية عرفتها مصر، وينقسم هذا العصر إلى أربع فترات رئيسية ، أولية ومبكرة ومتوسطة وما قبيل عصر الأسرات. للمزيد : محمد علي سعد، في تاريخ مصر القديمة، منشورات مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2001، ص41.

2. **الملك العقرب** : من أهم رموز عصر ما قبل الأسرات في مصر، وقد تم العثور في معبد مدينة «نخن» على شاهد أثري لهذا الملك وقد صورته النقوش مرتدياً تاج الصعيد، مؤدياً بعض الأعمال المتعلقة بالزراعة والري، فيما ترمز مجموعة من حوامل رموز الآلهة في إشارةٍ واضحةٍ على تأييدهم له في الحروب، أو دليلاً على تحالف أنصارهم أو أقاليمهم تحت رايته، وتتدلى منها حبال سميكة علقت في بعضها نوع من الطيور يعرف باسم «الرخيت»، وعلق في البعض الآخر مجموعة من أقواس الحرب، ويمكن الاستنتاج بأن الأقواس والطيور ترمز إلى أعداء الملك العقرب المهزومين، ويؤيد هذا الرأي أن طيور «الرخيت» كانت ترمز إلى سكان الدلتا وهي الخصم اللدود لمنطقة الصعيد، وفي جميع الأحوال يعتبر هذا الملك صاحب جهد كبير في محاولة توحيد الوجهين القبلي والبحري، وإن كان التوحيد النهائي لم يتم في عهده بل في عهد ملك آخر هو «مينا» الذي اشتهر بلقب «موحد القطرين». للمزيد : Quibell, 1900, P. xxxvi.

3. عبد العليم، 1966، ص12.

فيما تصور على الوجه الآخر مجموعة الغنائم التي سبق ذكرها أعلاه، وبتحليل هذه الغنائم نعرف أنها احتوت على ثروة صغيرة من الحيوانات والمواشي، بالإضافة إلى الرمزية الواضحة لأشجار الزيتون كونها مصدراً للزيت، وبالذات «زيت التحنو» الذي تمتع بسمعة طيبة في مصر القديمة.[1]

يعود بنا هذا المشهد الذي صوّر أشجار الزيتون إلى ما ذكره المؤرخون الكلاسيكيون عن تمتع إقليم قورينائية المجاور لمصر بتربة خصبةٍ أنتجت محاصيل مهمة ومنها الزيتون،[2] بالإضافة إلى الإشارات المتعاقبة إلى أن المصريين كانوا يجلبون من ليبيا الزيت الذي كان مهماً لموائد القرابين.[3]

إن علاقة علامات الاستفهام الكبرى تبدأ إذن في الظهور مبكراً جداً، حتى أنها تستبق عصر الأسرات المصري، لتظهر في العصر الذي سبقه، فما الذي يمكن أن تخبرنا به هذه العلاقة المسكونة بعلامات استفهام كبيرة لا يمكن تجاوزها أو التغاضي عنها؟

إن هذه العلاقة تطرح سؤالاً في غاية الأهمية، وهو أنه إذا كانت المصادر المصرية تصرّ دائماً على أن العلاقة بين القبائل الليبية وبين الدولة المصرية كانت علاقة بدو رحل يبحثون عن الماء والمرعى، وبين دولة ذات سيادة وحدود ونظام وبنيان واضح محدد كمملكة مزدهرة تحت حكم ملوك متتابعين.

---

1. دائماً كان الزيت في العصور القديمة ضريبةً أساسية إذا ما تعلق الأمر بعقوبةٍ تُفرض على مدينةٍ بعد خسارتها للحرب ونذكر هنا بالعقوبة الكبيرة التي فرضها الرومان على مدينة لبدة الليبية عندما قرر قيصر أن تدفع هذه المدينة ضريبةً سنويةً مقدارها 3 مليون رطل من زيت الزيتون، أي ما يعادل مليون وسبع وستين ألفاً وثمانمئة لتر. وكذلك ما ذكرته المصادر عن الكميات الهائلة من الزيت التي كانت المدن الليبية الثلاث تصدره إلى روما مجاناً، بعد اكتفاءها التام من استهلاكه محلياً في الإضاءة والتدليك في الحمامات العامة. للمزيد: نجم الدين غالب، مدينة لبدة، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1984، ص.94، رمضان أحمد قديدة، ليبيا في عهد الأسرة السويرية، المؤتمر التاريخي، ليبيا في التاريخ، بنغازي، 1968، ص.153.

2. Diodorus, III, 49-50.

3. الأثرم، 1975، ص.80.

إن هذه العلاقة تبدو صحيحةً ومتناسقةً في شقها الثاني، وهو المتعلق بالدولة المصرية التي لا خلاف على تمتعها بكل مقومات الكيان القوي المتماسك، إلا أنها تبدو غير ذلك في شقها الأول، وهو المتعلق بالقبائل الليبية التي صورتها المصادر المصرية على أنها مجرد مجاميع من الجوعى الذين يطلبون الماء لحيواناتهم والأمان لهم.

هل صورت المصادر المصرية انتصارات الفراعنة على الليبيين أم غيرهم؟

من المصادر المصرية نفسها يمكن أن نلتقط طرف الخيط لنرسم علامة استفهام كبيرة حول هذه الحقيقة بالذات، دون أن نملك قراراً نهائياً بهذا الخصوص، ففي غياب شاهد تاريخي حاسم لا يمكن لنا أن نجزم بشيء، ولكن يظل الحوار والنقاش سبيلاً رائعاً لمعرفة المزيد .

إن «مقبض سكين جبل العركي» يقدم لنا خدمة كبيرة في تبيانه للملامح والأوصاف العامة لليبيين الذين احتكوا بالدولة المصرية في ذلك الوقت، إذ أنه يصور خصلة الشعر التي كانت تميزهم، وجراب العورة الذين كانوا يتمسكون بارتدائه، أما لوحة الصيد التي تُسمى أيضاً بلوحة صيد الأسود فتضيف لنا ملمحاً جديداً يتمثل في اللحي التي كانت تميز الصيادين المصورين عليها، فيما أوضحت «لوحة نعرمر» بالإضافة إلى المواصفات السابقة تلك الذيول التي كانت تتدلى من قمصانهم القصيرة.

إن هذه الذيول بالذات هي التي أصبحت عنصراً مميزاً لملابس الفراعنة فيما بعد، بحيث أننا لا نراها في العصور التاريخية على غير الفراعنة إلا متدليةً من ملابس الزعماء الليبيين الذين رسمت صورهم على جسرٍ يؤدي إلى معبد «ساحورع» الذي يعود إلى الأسرة الخامسة، وهؤلاء الزعماء الليبيون أنفسهم يلبسون كيس العورة ولهم خصلة شعرٍ تنتصب على مقدمة رؤوسهم كالصلّ الذي ينتصب على

جباه الفراعنة.[1]

لكن هناك تبايناً مفاجئاً في وجهات النظر يظهر بين مجموعةً من المؤرخين بهذا الخصوص، ففي لوحة التوحيد مثلاً، وهي التي تُعرف أيضاً بلوحة نعرمر، وتصور موحد القطرين وهو يهزم نفس الشخصيات التي تميزت بالمواصفات الشكلية السابقة، يظهر الاختلاف في التفسيرات، إذ يؤكد بريستد في تعليقه على هذه اللوحة أن نعرمر ينتصر على الليبيين،[2] لكن غاردنر يخالفه في اعتقاده قائلاً إن نعرمر في هذه اللوحة يهزم سكان الوجه البحري أثناء توحيده للقطرين،[3] بل أن بيتس يصل إلى حد السخرية من هذا الاعتقاد في كتابه «الليبيون الشرقيون».[4]

يخصّص فوزي فهيم جادالله جزءاً من مقالته المعنونة بـ«مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوتس» التي قدمها في المؤتمر التاريخي الذي عُقد في الجامعة الليبية بكلية الآداب ببنغازي عام 1968م، ويناقش هذه المسألة بالكثير من التروي ليطرح فرضيةً مفادها أن «مقبض سكين جبل العركي» و«لوحة الصيد» و«لوحة الثور الفرعون»، كلها لا تخرج عن كونها مجرد شواهد على انتصار ملوك الوجه القبلي على سكان الوجه البحري وتوحيد شطري مصر بعد ذلك في دولةٍ واحدة قوية يهابها الجميع.[5]

ويؤكد أثناء ذلك أنه لا يمكن عملياً التمييز بين أشكال من انتصر عليهم ملوك الوجه القبلي في هذه الشواهد وبين أشكال الليبيين وصفاتهم المميزة آنذاك، إذ تتشابه كثيراً العلامات المميزة كالريش الذي يعلو الرؤوس وارتداء كيس العورة والذيول التي تتدلى من قمصانهم وهي التي أصبحت عنصراً مميزاً للفراعنة بعد ذلك.

إن الاتجاه العام لكل هذه اللوحات يوحي بأنه مناظر حربية تشير إلى معارك

---

1. جاد الله، 1968، ص.51.

2. Breasted, 1959, p. 102.
3. Gardiner, 1962, P. 396
4. Bates, 1914, p. 210

5. جاد الله ، 1968، ص. 52.

دامية، لكنها لا تشير إلى الشرق تحديداً باستثناء سكين جبل العركي، الذي يعتقد البعض – ومنهم غوردن تشيلد – أن السمات الشكلية المصورة عليه ربما تشير إلى قدوم عنصر أجنبي إلى وادي النيل في أوائل الألف الرابعة، ويرجعون ذلك إلى الانتقال السريع للحضارة المصرية من نهايات مرحلة العصر الحجري الحديث إلى نظام الممالك المستقلة في الدلتا والصعيد على حدٍ سواء.[1]

التحنو، هل هي قبيلة ليبية أم لا ؟

جديرٌ بالذكر أن «لوحة الملك العقرب» التي سبق ذكرها تحتوي على علامة تصويرية أمام شجرة الزيتون يستدل منها على اسم «التحنو»، أي إن الغنائم التي صورت في صفوف متعاقبة هي غنائم تم انتزاعها من قبيلة التحنو التي وصفها المؤرخون بالقبيلة الليبية، كما أن لوحة الملك نعرمر، وهي اسطوانة من العاج عُثر عليها في مدينة هيراكونيولبيس،[2] يظهر فيها نعرمر وهو يضرب مجموعةً من الأسرى وقد نُقش فوق رؤوسهم اسم «تحنو»، كما اسم التحنو يتكرر مرة أخرى في نصوص الأسرتين الثانية والثالثة (2778 - 1723 ق.م.) بوصفهم مجاميع مارقة متمردة ينبغي محاربتها.[3]

ويعود حديث المصادر المصرية عن التحنو في نقوش الملكين «سحورع» و«وني.أوسر.رع» وهما من ملوك الأسرة الخامسة (2563 - 2423 ق.م.) على جدران معبديهم في «أبو صير»، وقد وردت في نقوش «سحورع» عبارة «ضرب التحنو» مصحوبةً بصور الغنائم المعتادة من الثيران والحمير والأغنام والماعز، وتصور هذه النقوش أيضاً الأسرى من الرجال والنساء طوال القامة، سمر البشرة، بشعورٍ سوداء طويلة منسدلة إلى الخلف، بينما تنتصب خصلة الشعر على مقدمة الجبهة، مع وجوهٍ نحيفةٍ ووجنات بارزة وشفاهٍ غليظة، ولحي قصيرة مدببة الطرف للرجال،

---

1. Childe, 1958, p. 77

2. هيراكونيولبيس : حالياً هي الكوم الأحمر شمال أدفو في الصعيد .

3. عبد العليم، 1966 ، ص.12.

أما اللباس فهو موحّد لدى الرجال والنساء معاً، ويتألف من شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان عند الصدر مع حزامٍ مزين بخطوط عمودية وأفقية ينتهي من الأمام بقراب العورة للرجال الذين ينفردون أيضاً بالذيل الذي يتدلى من الخلف، أما الرقبة فتحاط بياقة مرتفعة تتدلى منها بعض الأشرطة على سبيل الزينة فقط.[1]

هذا عن المواصفات الشكلية للتحنو الذين لاحظنا أنهم لا يضعون الريشة على الرأس كبقية القبائل الليبية الأخرى، وكذلك عن صدامهم مع الجيش المصري المنظم، ولكن أين هي «أرض التحنو» هذه ؟ وهل يمكن اعتبارها أرضاً خارج إطار الدولة المصرية من الأساس؟

لابد من التذكير هنا أن المقصود بأرض التحنو هي تلك الأراضي الشمالية الشرقية من الأراضي المجاورة لحدود الدلتا، أي أن أراضيهم تشمل مناطق الحدود القريبة للدلتا، وقد كانت مناطق انتقال ورعي للمجاميع البشرية التي تعيش على هذه المنطقة، مع العلم أن الدلتا هذه كانت تنقسم جغرافياً إلى مجموعة من المقاطعات تبلغ سبعاً، ومن بينها هذه المساحة التي نعنيها، أي التي سكنها التحنو في ذلك الوقت، وكانت تتكون من مساحات شاسعةٍ من المستنقعات التي تسمح بتربية الماشية بوفرة، ويؤكد هذا الاعتقاد ما ورد في النصوص بشأن عبادة الماشية في الدلتا، إذ أنها كانت شعاراً للعديد من مقاطعات الدلتا التي كانت في أغلبها سهولاً منبسطة غير مزروعة تغطيها أعشاب الدبس ونباتات البردي التي وفرت بيئة جيدة لرعي هذا النوع من الحيوانات.[2]

إن السؤال إذن يطرح نفسه من جديد، فهل هؤلاء الذين تحدثت عنهم مصادر الفرعون المصري باعتبارهم معتدين وجب تأديبهم، هل هم ليبيون فعلاً ومن قبيلة التحنو الليبية؟ مادامت هوية هذه القبيلة أساساً أصبحت موضع تساؤل من حيث احتمال كونها مجاميع مصرية كانت تعيش في منطقةٍ حدودية بعيدةً عن المركز،

---

1. م. ن. ص.13.

2. Diodorus, Ibid., I, 43.

ويرجّح من كفة هذا الاحتمال أن نقوش «ساحورع» أطلقت على رئيس «التحنو» لقب «حاتي تحنو» أي «أمير التحنو»، ويستغرب سليم حسن أن يطلق هذا اللقب على زعيم أجنبي،[1] فإذا أخذنا هذه الملاحظة بعين الاعتبار، إلى جانب الشبه في لون البشرة والشعر، بالإضافة إلى اختلافهم عن الليبيين الذين يعيشون إلى الغرب من مناطقهم، مع عدم وضعهم الريشة في مقدم الرأس يمكن أن نعتقد أن التحنو هم في الأصل مصريون أقاموا بعيداً عن دولة المركز، واستوطنوا الدلتا في جزءها الشرقي، ثم تمددوا قليلاً نحو الغرب، حيث أصبح إقليمهم بالكامل يشغل غرب مصر كما تؤكده نقوش سحورع وتحتمس وامنحتب الثالث من ملوك الأسرة الثامنة عشر، والفرعون سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشر.[2]

على أن هناك رأياً آخر يسير في عكس الاتجاه، وهو القائل بأن الفيوم[3] ووادي النطرون هما «أرض التحنو» الأصلية منذ ما قبل توحيد الوجهين البحري والقبلي، لكنهم رفضوا عملية التوحيد هذه وتصدوا لنعرمر مما وضعهم في خانة الأعداء، ثم دفعوا ثمن هذا الموقف الرافض بإجلائهم قسراً إلى منطقة «الواحات» التي لم يتم ضمها إلى الدولة المصرية إلا في عهد الملك رمسيس الثالث من الأسرة العشرين،حيث يُفهم من أحد النصوص أن منطقة الواحات كانت تحت إشراف حكام أجانب يدفعون الجزية إلى فرعون مصر، فهل كانت «أرض التحنو» بمجملها تشمل الفيوم ووادي النطرون والواحات، وكانت من الاتساع غرباً بحيث يمكن أن نضم إليها مارماريكا أيضاً؟[4]

---

1. سليم حسن، 1992، ص.27.

2. عبد العليم، 1966، ص. 14.

3. يستند المؤرخون في تسمية الفيوم كأرض محتملة للتحنو كونها من البقاع الخصبة في وادي النيل، وبالتالي فهي تصلح للإجابة عن سؤالٍ يتعلق بهذه الثروة الحيوانية الكبيرة التي تم تسجيلها كغنائم لدى الفرعنة المصريين، كما أن معبودها الرئيسي كان هو الإله «سبك» أي التمساح باللغة الفرعونية، وقد عُثر على نقش يرجع إلى عهد الفرعون منتوحتب يصور أحد زعماء التحنو وقد علق في حزامه صوراً لأسماك. للمزيد : عبد العليم، 1966، ص. 14-15.

4. Gardiner, 1947, p. 116

إن هناك من الدلائل ما يشير إلى أن التحنو كانوا إما مصريين من الأساس، أو ليبيين تقاربوا كثيراً من المصريين حتى باتوا يعاملون من الشعوب الأخرى على أنهم مصريون، وفي هذا الصدد لا ننسى أن التحنو تعرضوا في عهد مرنبتاح كباقي المصريين إلى غزو «شعوب البحر» الذي كان نتيجة لتحالف بين هذه الشعوب وبين قبيلة «الليبو»، وكذلك كانوا قد تعرضوا لغزوٍ مماثل من قبيلة المشوش الليبية أيضاً في عهد الملك رمسيس الثالث.[1]

إن هذه الدلائل المهمة ربما تسمح لنا أن نتقبل افتراضاً يقول إن التحنو ليسوا ليبيين تماماً كما كنا نتصور، بل هم مصريون أو «تمصّروا» بحيث أصبح مستحيلاً فصلهم عن محيطهم المصري، وكانوا من سكان المقاطعات الغربية من الدلتا، وقد تطور هذا الاسم مع الزمن ليتم إطلاقه على كل من يسكن غرب مصر من القبائل الأخرى التي كانت في صراع ونزاع مستمرين مع الدولة المصرية لأسباب تتعلق بالرغبة في الاستقرار حيث النيل ومصادر المياه.

وربما كانت نقطة الخلاف الكبيرة التي عكرت صفو علاقتهم بالسلطة السياسية في مصر – وليس بالمصريين، كونهم مصريين سواءً بالأصل أو بالتمصر – هي قيام هذه السلطة بالبدء في محاولة توحيد الوجهين البحري والقبلي، وهذا ما أثار معارضة ورفض التحنو الذين خسروا بمعارضتهم هذه علاقتهم الطيبة مع السلطة، فتم استهدافهم إعلامياً– بمفهوم ذلك العصر– كما هو واضح من النقوش التي سبق ذكرها، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى قرارٍ ملكي بإجلائهم عن مناطقهم إلى مناطق أخرى كنوعٍ من العقاب الجماعي الصارم لهم.

يبدو أن هذا الخلاف كان سبباً في اتساع الهوة تدريجياً بين الطرفين، وهنا يمكن أن نستأنس برأي يستحق الاهتمام ينقله مصطفى كمال عن سليم حسن عندما يقول: «والتفسير الذي يبدو محتملاً هو أن الفوارق بين حضارة القومين قد

---

1. فهيم جادالله، 1968، ص.59.

أصبحت واضحة لدرجة أن المصريين لم يعودوا يشعرون باشتراكهم مع المصريين في أصل واحد، واعتبروا التحنو قوماً غرباء بالنسبة لهم، وما كانوا ليسمحوا لهم بمحاولة الاستقرار في الوادي، وعلى أي حال ينبغي أن نفهم أن اسم «تحنو» إنما هو دلالة على لفظ جنسي، فلا يتحول إلى اصطلاح جغرافي، وقد ظل هذا الاسم مستعملاً بعد الدولة القديمة للدلالة على شعوب الغرب، وذلك بالرغم من صفاتهم الطبيعية، وبالرغم من ملابسهم التي تميزهم عن غيرهم من الليبيين».[1]

يؤكد هذا الرأي أن التحنو ليسو غرباء عن المصريين، بل أنهم كانوا مندمجون معهم، غير أن معارضتهم قرار الفرعون المصري نعرمر أدت بهم إلى الوقوع في شراك واقع معادٍ لجيوش الفرعون التي صورتهم بعد ذلك أسري حرب وضحايا هزائم، ولكن هل آن الأوان لنعتبر هذه الغنائم بمثابة غنائم معارك خاضتها الجيوش المصرية ضد أقوام مصريين تباعدت بهم أقاليمهم عن محور السلطة المركزية ووضعتهم معارضتهم للسياسة الملكية إلى اعتبارهم مناوئين وأعداء يستحقون أن يُشهر بهم كأعداء وخصوم؟

إن مؤرخاً آخر هو فرانسوا شامو يكاد يؤيد هذا الرأي مع بعض التحفظ عندما يقول: «إنه لكي يكون تصورنا لليبيين معقولاً عندما نعتمد على وثائق مصرية فمن الضروري أن نعتبر أن القبائل المصرية التي تسكن عند الحدود لغربية لمصر وتلك القبائل الليبية التي تسكن شرق ليبيا كانت عبارة عن شعبٍ واحد».[2]

إذا كانت علامة الاستفهام الكبيرة هذه تطال قبيلة التحنو، وتقول إنها ربما كانت قبيلة مصرية من الأساس، فهل ينطبق هذا بالضرورة على بقية القبائل التي ذكرتها المصادر المصرية كالمشوش و الليبو؟

إن الظهور الأول لقبيلة الليبو كان في عهد رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة

1. عبد العليم، 1966؛ سليم حسن، 1952، ص. 36 - 40.

2. Chamoux, 1953, pp. 38-39.

عشر على لوحة برج العرب التي عُثر عليها في العلمين، وتدل على أن إقليمهم كان قد خضع قبل ذلك للمصريين، ثم ورد ذكرهم في عهد مرنبتاح حيث تم صد هجومٍ شنوه على مصر في العام الرابع والخامس من حكمه.(1)

وكذلك كان ذكر المشوش قد تأخر زمنياً حتى عهد الأسرة الثالثة عشر (1580-1350 ق.م.)، وتوالى ذكرهم بعد ذلك في الكثير من النصوص المصرية من الأسرة التاسعة عشرة (1350- 1205 ق.م.)، والأسرة العشرين (1200 - 1090 ق.م.)، والحادية والعشرين (1090- 945 ق.م.) وطوال هذه الفترات اقترن ذكرهم بحالةٍ عدائية وحملات حربية ومعارك، ولكنهم لما يُذكروا أبداً إلا بصفته ليبيين قدموا من العمق الليبي وحاولوا باستمرار أن يدخلوا إلى عمق الأراضي المصرية مما كان سبباً في تصادم مستمر انتهى بعد قرون طويلة نهايةً سلمية بأن تم استيعاب الكثير منهم داخل منظومة المجتمع المصري حتى أن بعضهم وصل إلى سدة الحكم في مصر.

كان الأمر مختلفاً إذن مع الليبو والمشوش من ناحية سؤال الهوية، لكنه كان مثيراً لعلامات استفهام من نوعٍ آخر عندما تعلق الأمر بالحالة التصادمية التي ميزت علاقتهم بالدولة المصرية القديمة، حتى أن أبرز ما سجلته لهم المصادر هو ذلك السلاح الذي أثار انتباه المصريين، وتمثل في السيوف الطويلة المصنوعة من البرونز.(2)

على أن هذه العلاقة لم تخلُ بدورها من علامات استفهام، وإن كانت تختلف جذرياً عن سابقاتها التي شابت العلاقة مع التحنو، فإذا كانت علامة الاستفهام بخصوص التحنو تمثلت في سؤالٍ عن هويتهم وعن احتمال كونهم مصريين وليسو ليبيين، فإن علامة استفهام الليبو والمشوش سوف تتركز على الغنائم ودوافع احتكاكهم بالدولة المصرية أصلاً، وهل قدموا بدافع السعي نحو مصادر المياه أم أن هناك أسباباً أخرى غفلت عن ذكرها المصادر؟

---

1. الأثرم، 1975 ، ص25.

2. م. ن. ص. 26.

التاريخ العدائي للعلاقة بين الليبو والمشوش مع الدولة المصرية القديمة وتساؤلاته

إذا كانت علامة الاستفهام الأولى المتعلقةً بهوية أحد طرفي الصراع لم تزل تبحث عن إجابتها، فإن النصوص المصرية عندما تمت كتابتها بالهيروغلوفية متجاوزةً كونها نصوصاً مصورةً فقط، أبدت المزيد من الوضوح بهذا الشأن، ونقلت لنا واقعاً مشحوناً بالمعارك والعدائية لا يمكن تجاوزه مهما تعددت الآراء وتعارضت حول هوية المهزومين .

إن أول إشارة إلى الليبو وردت في «لوحة برج العرب»، وهي منطقة غرب مدينة الاسكندرية المصرية، تقول إن رمسيس الثاني قد قام بغزو بلاد الليبو، وأنه قد أقام خطوط مراقبة عسكرية في منطقة مارمايكا، على أن أشمل وصف يمكن أن نحصل عليه لهذه العلاقة المشحونة بين الليبو والدولة المصرية هو ما سجلته المصادر في العام الخامس من حكم الفرعون مرنبتاح عام 1227 ق.م، وبالتحديد على «عمود القاهرة» و«لوحة اثريب» و«أنشودة النصر» و«نقوش الكرنك الكبيرة»، وهذه الأخيرة قدمت وصفاً متكاملاً يثير الانتباه عندما قالت: «إن رئيس الليبو، مري بن دد قد انقض على إقليم التحنو بأكمله[1] ومعه الشردان والشكلش والأكايواش ولوكا والتورشا،[2] آخذاً كل محارب حسن، وكل رجل قتال في بلاده، وقد أحضر زوجته وأولاده، ووصل إلى الحدود الغربية في حقول بر. إير».[3]

---

1. تعود بنا هذه العبارة إلى ما ذكره الباحث سابقاً من احتمال صحة آراء البعض بأن التحنو كانوا مصريين أو متمصّرين، ولم يكونوا غرباء عن الدولة المصرية القديمة (الباحث).

2. يرى البعض أن هؤلاء كانوا هم «شعوب البحر» الذين شكلوا طلائع الهجرة الكبرى التي كانت قد بدأت في التسرب إلى مصر وفلسطين من جهة الشمال والشرق، في عهد رمسيس الثالث، ويُعتقد أن الأسماء المناظرة لهم هي الآخيين واللوكيين والسردينيين والأتروسكان والصقليين، ويرى فوزي فهيم جادالله أن هذا النسب يعتمد في بعضه على أدلة تاريخية كافية، وفي بعضه الآخر يحتاج إلى المزيد من الإثبات. للمزيد : فوزي فهيم جادلله، مرجع سابق،ص68.

3. عبد العليم، 1966 ، ص25. ويرى عبد العليم أن حقول «بر.إر» تقع على حافة وادي النطرون شمال غرب مدينة منف. للمزيد انظر المرجع نفسه ص. 26.

إننا إذن أمام «هجرة جماعية» كما يشير النص حرفياً، لأن الذي يريد الغزو لمجرد انتزاع الغنائم لا يجلب معه كامل أفراد أسرته، ويمكننا أن نخمن أيضاً أن بقية قادته قد فعلوا نفس الشيء، وأن الهدف النهائي من هذا التحالف هو الإقامة في منطقة الدلتا الغنية بثروتها الحيوانية الكبيرة. ويبدو أن هذا الهجوم كان خطيراً ومثيراً للمخاوف، وأنه أثار ارتباكاً في صفوف الجيش، بحيث أننا نجد الفرعون المتأهب للدفاع عن دولته يخاطب جنوده قائلاً: «إنكم تنزعجون كالطيور، هل ستخرب البلاد؟ وأقوام الأقواس التسعة قد أتوا إلى أرض مصر ليبحثوا عن طعامٍ لبطونهم».[1]

عند هذه النقطة بالذات تبرز علامة استفهام كبيرة، إذ أن الفرعون المصري – وهو السلطة السياسية والعسكرية والدينية الأعلى في البلاد – يضع سبباً أساسياً ووحيداً لهذا الغزو الذي ترأسته قبيلة الليبو، وهو الهروب من المجاعة في بلادها، واللجوء إلى مصر لإنقاذ أفرادها وعائلاتها من الجوع، ويدعم هذا التأكيد ما تم ذكره سابقاً عن اصطحابهم لزوجاتهم وأولادهم، فهل كان النص التاريخي نفسه في سطوره القادمة مؤيداً لهذا السبب أم مناقضاً له؟ لنقرأ معاً بقية النص وهو يصوّر تفاصيل انتصار الملك المصري على هذا التحالف: «وقد بلغ عدد القتلى 6200 من الليبو، و2370 من رجال جزر البحر، وعدد الأسرى 9367، ووقع في الأسر نساء الرئيس الليبي، وعددهن 12 سيدة، وكذلك أولاده».

إن هذا الجزء من النص يؤكد ما خلص إليه الفرعون من أن سبب مجيء الليبو كان للاستقرار وليس للغزو، فقدوم كل زوجات الزعيم «مري بن دد»، ومعه كل أولاده، يبدو منسجماً مع هذه الرغبة، لكن ما سيلي ذكره من نفس النص يرسم علامة استفهامٍ كبيرة: «وقد غِنم الملك ممتلكات «مري» وفضته وذهبه وأوانيه البرونزية وأثاث زوجاته وعرشه وأقواسه وسهامه، وكل ممتلكاته التي أحضرها معه

---

1. سليم حسن، ج7،مرجع سابق،،ص. ص. 48 - 101.

من بلاده مشتملة على ثيران وماعز وحمير».[1]

هنا يجب أن نتوقف لنلاحظ التناقض الكبير بين ما أورده النص من غنائم، وبين السبب الذي بينته المصادر لقدوم الليبو، وذلك لأن المنطق يقول إن من يقبل هارباً من العطش ومن الجوع بحيث أنهم جاءوا «باحثين عن طعام لبطونهم» حسب تعبير النص، هؤلاء لا يمكن أن يكون بحوزتهم الذهب والفضة والبرونز والأثاث – الذي يجب أن يكون فاخراً باعتباره أثاث زوجات ملك – وكذلك كل هذه الثروة الحيوانية من الثيران والماعز والحمير.

إن من يملك ثروة هائلة كهذه لا يمكن وصفه بأي حالٍ من الأحوال بأنه جائع منهك وصل إلى منطقة الحدود لمجرد أنه يبحث عن طعامٍ لبطنه، كما أن جائعاً بهذه المواصفات المزرية لا يمكن أن يقنع أقواماً آخرين بأن يتولى هو دفة قيادة حملةٍ كبيرة على دولة عظيمةٍ ذات حدود منظمة وجيشٍ مقتدر مجهز.

إن قائمة الغنائم هذه تقدم لنا صورة ملكٍ ثري، بل واسع الثراء، يملك عدداً كبيراً من الزوجات والأولاد الذين يستطيع إطعامهم وتوفير الحياة الرغدة لهم بما يملكه من ذهبٍ وفضةٍ ومواشٍ وغيرها من مستلزمات التمتع بالملذات، فهل نصدق قائمة الغنائم أم نصدق السبب الذي ساقه المصدر الأثري لقدوم قبيلة الليبو؟

لو تتبعنا نصاً آخر هو «لوحة النصر»، فسوف نجد مقطعاً يروي ما حدث للزعيم مري بن دد بعد هزيمته في المعركة الحاسمة في تقريرٍ يرفعه قائد حصن مشرف على المنطقة الغربية من الحدود يخبره فيه أن مري قد لاذ بالهرب ووصل إلى بلاده، لكنه قام بتنصيب أحد أخوته في مكانه.[2]

يصل بنا هذا إلى حقيقة تختلف بدورها عن الوصف السابق الذي يقتصر على

1. سليم حسن، 1992، ص. 88.

2. عبد العليم، 1966، ص.26.

جحافل جائعة جاءت بكامل أفرادها رجالاً ونساءً وأطفالاً لتبحث عن طعام، بل أنه يعني في سطوره أن هناك نظام حكم واضح ومحدد ونمطي، وأن هناك رأياً عاماً رفض أن يستمر الملك أو الزعيم المهزوم في الحكم فقرر أن يجبره على التنازل عن الحكم لغيره.

نحن إذن أمام نظام مجتمعي مستقر يملك آلية محددة ومعروفة للحكم، وهذا ما يتناقض تماماً مع ما ذكرته النصوص.

أما قبيلة المشوش التي ورد ذكرها للمرة الأولى في عهد أمنحتب الثالث (1580 - 1350 ق.م.)، وتوالى ذكرها في الكثير من النصوص المصرية بعد ذلك،[1] فنجد أن أبرز ذكر لهم كان في نقوشٍ على الجدار الشرقي لمعبد «هابو»، المؤرخ بالسنة الحادية عشرة من حكم الملك رمسيس الثالث، والذي يقول: «وقد كان رئيس المشوش آتياً من قبل أن يرى، مهاجراً ومعه أهله، وانقضوا على التحنو الذين أصبحوا رماداً، وقد خربت مدنهم وأقفرت، ولم يعد لبذرتهم وجود، وقد قال المشوش بصوتٍ مسموع: «سنستوطن مصر»، واستمروا باختراق حدود البلاد، وهناك حاصرهم الموت، وقد سار جلالته وقلبه يعتمد على سيد الآلهة لملاقاتهم».[2]

إن هذا المصدر يؤكد من جديد أن الدافع لوصول المشوش كان لغرض الاستيطان الكامل، وهو في هذا لا يختلف عن الدافع الذي سبق نسبته لقدوم الليبو، أما تدميرهم للتحنو فيبدو أنه يستند إلى أحد سببين، أما أن التحنو رفضوا الاشتراك معهم في هذه الحملة الاستيطانية – حسب الوصف المصري – باعتبارهم ليبيين متمصّرين، وأما أنهم تصدوا لهم كمواطنين مصريين فواجهوا هذا المصير الذي ذكره المصدر، لكن ما يعنينا هنا هو ما واصل المصدر ذكره بخصوص المشوش بعد أن تمت هزيمتهم وقتل زعيمهم مششر بن كبر ومعه والده

---

1. Wainwright, 1962, p. 96.

2. سليم حسن، 1992، ص. 306.

الذي تضرع طويلاً لإنقاذه من الذبح دون جدوى، ثم قائمة الأسرى التي ضمت عدداً من الرؤساء أو القادة، وعدداً من صغار السن من الشبان والأولاد، وكذلك النساء والفتيات، وقد كان العدد كبيراً بحيث بلغ 2052، وهو عدد يؤكد من جديد أننا أمام هجرة جماعية أكثر منها حملةً عسكرية، لكن قائمة الغنائم تمدنا بالمزيد من علامات الاستفهام: «وإن عدد الماشية التي غنمها من المشوش بلغ 1309 من الثيران والبقر، و28338 من الحمير والماعز والغنم والخيل».[1]

إن هذه الأرقام تجعلنا نقف عندها لنناقش أكثر من نقطة، ونطرح أكثر من علامة استفهام، فإذا كان المشوش يملكون هذه الثروة الحيوانية الهائلة التي يعجز الكثيرون في العصر الحالي عن امتلاكها رغم تطور الرعاية الطبية البيطرية والتطور التقني والدوائي بهذا الخصوص، فكيف يمكن لمن يملك هذه الثروة الضخمة أن يشكو من الجفاف في بلاده الأصلية؟ وإذا كان الموطن الأصلي للمشوش في جهة الغرب من إقليم التحنو، ويمتد حتى منطقة خليج سرت،[2] حتى أن مصطفى كمال يرجح أنهم ربما «أقاموا في إقليم برقة»،[3] فإذا قررنا أنهم سكنوا منطقة خليج سرت، وهي منطقة صحراوية لا تسمح أصلاً بتربية هذه الأعداد الكبيرة من الماشية، فكيف يمكن لهم أن يواصلوا طريقهم إلى مصر دون أن يتوقفوا عند إقليم برقة الغني بأمطاره ووديانه ومراعيه، وكيف يمكن لهم أن يخاطروا بالاحتكاك بقوةٍ عظمى عسكرياً وسياسياً وإدارياً وتنظيمياً كالدولة المصرية، مع أنهم كانوا سيلاقون مشقةً أقل لو كانت هجرتهم صوب إقليم برقة الذي كان يعيش فراغاً سياسياً يسمح بمحاولة الاستقرار فيه.

وإذا وافقنا على أنهم كانوا يسكنون إقليم برقة، فكيف يمكن أن نصدق أنهم تركوا إقليمهم الغني المطير الذي يتمتع بمراعيه الواسعة ثم رحلوا عبر متاهة

---

1. م. ن. ص. 320 - 321.

2. Alan, 1948, p.6

3. عبد العليم، 1966، ص31.

مقفرة ليقفوا على أبواب فرعونٍ قوي يملك جيشاً مدججاً بالسلاح والخبرة؟

في الحالين، سواءً كانوا في سرت أم في برقة، وكانوا يملكون كل هذه الإمكانيات المادية الهائلة، فكيف يمكن أن نستوعب أن قوماً يملكون كل هذه الثروة ثم يوصفون بعد ذلك بأنهم ما جاءوا إلى مصر إلا لملء البطون الخاوية؟

لاشك أن التاريخ لم يبح بكل أسراره بعد، وأن علامات الاستفهام الكبيرة سوف تكون هي العلامة الأبرز إذا ما تعلق الأمر بتاريخ القبائل الليبية بالدولة المصرية القديمة.

***

■ مصادر:

Diodorus Siculus, (L.C.L), Transilated by Russel M Geer ,III.

■ مراجع:

- رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي،منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع،بنغازي، 1975.
- رمضان أحمد قديدة،ليبيا في عهد الأسرة السويرية، المؤتمر التاريخي،ليبيا في التاريخ،بنغازي، 1968.
- فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليي قبل هيرودوتس، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968.
- سليم حسن،مصر الفرعونية، ج7،منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
- سليم حسن مصر الفرعونية، ج3،منشورات مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1952.
- محمد علي سعد، في تاريخ مصر القديمة، منشورات مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2001.
- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات المطبعة الأهلية، بنغازي، يناير 1966.
- نجم الدين غالب،مدينة لبدة، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1984.

- Bates, O.; *The Eastern Libyans*, London, 1914.
- Chamoux, F. ; *Cyre'ne Sous Al Monarchie Des Battiades* , Paris , 1953.
- Childe, V.G.; *New Light on the Most Ancient East*, London, 1958.
- Breasted, J.; *History of Egypt*, London, 1959.
- Gardiner; *Egypt of the pharaohs*, Oxford, 1962.
- Gardiner; *Onomastica*, *Ancient Egyptian Onomastica*, VI, Oxford, 1947.
- Rowe, Alan; *A history of Ancient Cyrenaica*, Cairo, 1948.
- Quibell, J. E.; *Hierakonpolis*, 1, London, 1900, PI, xxxvi.
- Wainwright, G.; *The Meshwesh*, J. E. A., No. 48, London, 1962.

التواريخ التسلسلية SD
في مصر ما قبل الأسرات

ستان هندريكيس(*)
ترجمة: عبدالغفار الأطرش

في شتاء 1896/1895 قام فلندرز بيتري F. Petrie بالتنقيب في مقبرة ضخمة في نقادة لم يكن قد رأى مثلها آنذاك، وعلى الرغم من أنه اعتقد في البداية أن المقبرة تعود إلى الفترة الانتقالية الأولى، إلا أنه سرعان ما أصبح من الواضح أنها كانت في الواقع تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، فأطلق عليها بالتالي اسم «ما قبل الأسرات» (بيتري 1896). خلال العقود التالية، قام بيتري بالتنقيب في العديد من مقابر ما قبل الأسرات ووضع تسلسلاً زمنياً نسبياً أطلق عليه «التأريخ التسلسلي» Sequence dating، وكانت تلك أول محاولة على الإطلاق لترتيب التسلسل seriation في علم الآثار.

كخطوة أولى، تم ترتيب الفخار في مجموعة من فخار «عصر ما قبل الأسرات»، تتكون من تسع فئات من الفخار وأكثر من سبعمائة نوع (بيتري 1921). بعد ذلك، تم تدوين جميع الأشياء من كل قبر على بطاقات صغيرة مع فكرة ترتيبها بتنظيم زمني نسبي وفق تشابه الأنواع.

أولاً: تم التمييز بين مرحلة سابقة ومرحلة لاحقة من خلال ملاحظة أن الفخار الأبيض ذا الخطوط المتصالبة لم يظهر مع الفخار المزخرف وذي المقابض المموّجة.

ثانياً: تم قبول تطور الشكل من الأشكال الكروية إلى الأشكال الأسطوانية بالنسبة إلى الأنواع ذات المقابض المموّجة، بالإضافة إلى فقدان المقابض لوظائفها. عندما تم ترتيب جميع بطاقات القبر بالترتيب، قسّم بيتري البطاقات إلى خمسين

مجموعة متساوية، ورقّمها بـ«تواريخ تسلسلية» (SD) من 30 إلى 80 (Petrie 1901b, pp. 4-12). وباختياره البدء عند التاريخ التسلسلي SD 30، ترك مساحة شاغرة للثقافات السابقة التي يمكن اكتشافها. ثم قسّم أخيراً التواريخ التسلسلية الخمسين إلى ثلاث مجموعات اعتبرها مختلفة أثرياً وثقافياً وزمنياً. وسمّاها «الثقافات» العمرية (SD 30-37) Amratian، والجرزية (SD 38-60) Gerzean، والسماينية (SD 60-75) Semainean، وفق أسماء مواقع المقابر المهمة التي تعود إلى ما قبل الأسرات.

وعلى الرغم من أن تطوير التواريخ التسلسلية يمثل بالتأكيد أحد العروض الفكرية الرئيسية في دراسة مصر ما قبل الأسرات، إلا أن عدداً من الاختصارات المنهجية، مثل المعايير غير المتجانسة المستخدمة في تحديد فئات الفخار وأنواعه، أدّت حتماً إلى أخطاء، والمشكلة الأساسية هي أن بيتري لم يميّز بوضوح بين التصنيف والتسلسل الزمني (Hendrickx 1996)، كما إنه استهدف وضع إطار زمني مفصل للغاية، لكن دمج البيانات الجديدة جعله أقل دقة شيئاً فشيئاً. مع ذلك، أكثر ما يلفت الانتباه في الهفوات التي شابت طريقة عمل بيتري هو إغفال التوزيع الأفقي للمقابر.

في 1957 قام فيرنر كايزر بمراجعة التسلسل الزمني النسبي لما قبل الأسرات عن طريق التحقق من التوزيع الأفقي لفئات الفخار في مقبرة أرمنت، وميّز بين ثلاث مناطق مكانية بنسب مئوية لتصنيف بيتري الخاص بالفخاريات ذات الطلاء الأسود في قمتها والفخاريات الخشنة ثم المتأخرة. وقد عُدّت هذه المناطق بوصفها تمثل مراحل زمنية، وتم التعرّف داخل كل منها على تقسيمات فرعية تسمى مستويات وفقاً لمجموعات أنواع الفخار. وبهذه الطريقة، ميز كايزر ثلاث مراحل رئيسية في ثقافة نقادة، وإجمالها إحدى عشرة مستوًى. ولكن على الرغم من أن كايزر أدرج بيانات من عدد من المقابر الأخرى، إلا أن دراسته تعتمد بشكل أساسي على مقبرة واحدة تغطي فترة ما قبل الأسرات بأكملها. لذلك كان من الضروري إجراء تحديث ومراجعة جزئية لـ«كرونولوجيا كايزر»، وقد أُنجز في نهاية عقد 1980،

مع دمج جميع المقابر التي نُشرت بياناتها في ذلك الوقت (Hendrickx 1989).

لا يوجد فرق كبير من الناحية المنهجية عن المنهج الذي طوّره كايزر سابقاً، فتحديد مجموعات المقابر ذات الصلة لا يعتمد على محتوياتها فحسب، بل وعلى توزيعها المكاني داخل المقبرة ايضاً. ونتيجة لذلك، نشأ صراع بين البحث عن مقاربة زمنية أدق بالنسبة إلى جميع الأمثلة التي تكون من نوع واحد من الفخار، من ناحية، وتعريف مجموعات المقابر المحددة مكانياً بدقة، من ناحية أخرى، أي بين أيهما يمكن تحقيق التوازن.

لم يكن النظام الذي طوّره كايزر متناقضاً بشكل أساسي، حيث حافظ على المراحل الزمنية التي جرى تمييزها، على الرغم من حدوث اختلافات مهمة في بعض الحالات في الوصف الأثري (Hendrickx 2006)، وينطبق هذا بشكل خاص على فترة نقادة الثالثة، حيث كان عدد المقابر في أرمنت محدوداً جداً، وأعيد تعديل أحدث مجموعة مميزة ضمن مستوى كايزر Illa2 وجُعلت ضمن نقادة IIIA1، في حين أن معظم أنواع المستوى IIIA1 الأصلية، مع عدد كبير من مستوى IId2 تعدّ متميّزة بالنسبة إلى نقادة IID2 (انظر الشكل المرفق). وفي الوقت نفسه، أظهر العمل في مقابر الدايما Adaïma [إسنا، مصر العليا] أن التمييز بين مرحلتين فرعيتين خلال فترة نقادة IID إنما هو بناء مصطنع.

لقد زادت الأبحاث المتعلقة بمواقع ما قبل الأسرات بشكل كبير، على مدى العقود الماضية، ما أتاح كمية كبيرة من البيانات الجديدة. وقد تم تفصيل التسلسل الزمني المحلّي في أبيدوس والدايمة وجزرة وتل الفرخة. وقد اقترح كولر مراجعة التسلسل الزمني

الخاص بنقادة IIIC بدءاً من مقبرة حلوان، مضيفاً المراحل من 1 إلى 3 إلى نقادة IIID التي يعود تاريخ آخر مراحلها إلى نهاية الأسرة الثانية، ومع ذلك، فإن كل هذه الأبحاث لم يقع دمجها بعد في إطار زمني كرونولوجي شامل يوضح التمايزات المناطقية.

■■

Kaiser 1957, 1990		Hendrickx 1989, 1996, 1999, 2006a	
–	–	Naqada IIID	no cylindrical jars
50t	Stufe IIIc3	Naqada IIIC2	50 b-c, h-t
50 d	Stufe IIIc2	Naqada IIIC1	50 d-g
48 s, t / 49 d, l 50 d	Stufe IIIc1	–	–
48 s, t / 49 d, l	Stufe IIIb2	–	–
47	Stufe IIIb1	Naqada IIIB	47 r-t / 48 s 49 d, g
W 50 / W 51 a W 55 / W 56 g W 61 / W 62	Stufe IIIa2	Naqada IIIA2	W 55 / W 58 W 60 / W 61 W 62
–	–	Naqada IIIA1	W 49 / W 50 W 51 / W 56 a, g
W 41 / W 43 b W 47 g	Stufe IIIa1	–	–
W 41 / W 43 b W 47 g	Stufe IId2	Naqada IID2	W 41 / W 42 W 43 b / W 47 a, g W 47 m
W 24 / W 25	Stufe IId1	Naqada IID1	W 24 / W 25 W 27
W 3 / W 19	Stufe IIc	Naqada IIC	W 3 / W 19

مقارنة تقسيم مراحل نقادة الثانية ونقادة الثالثة بين كايزر وهندريكس

(*) المقال الأصلي المنشور باللغة الإنجليزية:

Stan Hendrickx; ***Sequence Dating and Predynastic Chronology***, in Emily (Ed.); ***Before the Pyramids***, Oriental Institute Museum Publications and the Oriental Institute of the University of Chicago, 2011.

■ مراجع:

Buchez, Nathalie; *A Reconsideration of Predynastic Chronology: The Contribution of Adaïma.* In *Egypt at Its Origins 3* (Proceedings of the Third International Colloquium Origin of the State, Predynastic and Early Dynastic Egypt, London, 27 July-1 August 2008), edited by Renee F. Friedman and P. N. Fiske. Orientalia Lovaniensia Analecta 205. Leuven: Peeters. (In press)

Hartmann, Rita; *The Chronology of Naqada I Tombs in the Predynastic Cemetery U at Abydos*. In *Egypt at Its Origins 3* (Proceedings of the Third International Colloquium Origin of the State, Predynastic and Early Dynastic Egypt, London, 27 July-1 August 2008), edited by Renee F. Friedman and P. N. Fiske. Orientalia Lovaniensia Analecta 205. Leuven: Peeters. (In press)

Hendrickx, Stan. *De grafvelden der Naqada-cultuur in Zuid-Egypt, met bijzondere aandacht voor het Nagada III grafveld te Elkab*. Interne chronologie en socuale differentiatie. PhD dissertation, Katholieke Universiteit, Leuven, 1989.

——— ; *The Relative Chronology of Naqada Culture, Problems and Possibilities*. In *Aspects of Early Egypt*, edited by Jeffrey Spencer, pp. 36-69. London: British Museum Press, 1996 (a).

——— ; *Two Protodynastic Pbjects in Brussels and the Origin of the Bilobate Cult-Sign of Neith*. Journal of Egyptian Archaeology 82: 23-42, 1996 (b).

——— ; *Predynastic-Early Dynastic Chronology*. In *Ancient Egyptian Chronology*. edited by Erik Hornung, Rolf Krauss, and David A. Warburton, pp. 55-93, 487-88. Handbook of Oriental Studies, Section One, The Near and Middle East 83. Leiden: Brill, 2006.

Jucha, Mariusz A.; *The Pottery of the Predynastic Settlement (Phases 2 to 5). Tell el-Farkha 2*. Poznzn: Poznzn Archaeological Museum, 2005.

Petrie, William M. Flinders; *Koptos*. London: Bernard Quaritch, 1896.

——— ; *Diospolis Parva: The Cemeteries of Abadiyeh and Hu 1898-9*. London: Egypt Exploration Fund.

———; *Corpus of Prehistoric Pottery and Palettes*.British School of Archeology in Egypt. Research Account 32, London. 1921.

Kaiser, Werner; *Zur inneren Chronologie der Naqadakultur*. Archaeologia Geographica 6, 69-77, 1957.

الملكة أحمس... أميرة التمحو

معاذ السايح

كان حضور التمحو واضحاً منذ بدء تاريخ مصر القديم، وقد استمر أثرهم لزمن طويل بعد أن تحوّلوا تدريجياً إلى جزء من المجتمع المصري نفسه، أي بعد أن لم يعد الملوك ينظرون إليهم على أنهم طرف بعيد خارج سلطة الدولة، بسبب توطّنهم البعيد عن المقرات الملكية حيث كانوا يسكنون أطراف الدلتا والواحات.

لا تنص السجلات المصرية على نهاية محدّدة انتهى إليها التمحو، ولعلّ آخر وجود مستقل لهم كان في زمن الملك بيي Pepy، يقول بيتري عن ذلك: «تم تجنيد التمحو في الواحات من قبل بيي في الحروب التي خاضها. وهاجمهم مرنرع Mernre، وأسرتسن Usertesen. وكانت لهم اليد الطولى في الأسرة الثامنة عشرة، وهو ما نراه في لقب ابنة أحمس الأول».

عُرفت ابنة أحمس الأول باسم أحمس أيضاً، ولُقّبت: «أحمس خنت تمحو» Ahmose Ḫent-Temeḥu ، أي أحمس أميرة التمحو (لوحة 1)، وسبب هذا اللقب لا يخرج عن إنها كانت ابنة أميرة من أميرات التمحو اسمها «أنحابي»، وهي ابنة ملك من ملوك الدلتا الليبيين، ومن نسب الأم هذا اشتق لقب أحمس: أميرة التمحو.

كانت أحمس أميرة التمحو «ابنة ملك وأخت ملك وزوجة ملك»، كما يقول نيوبيري (Newberry, *Ta Eehenu - Olive Land*, Ancient Egypt, part III, 1915)، أي إنها ابنة الملك أحمس الأول، وأخت الملك أمنحوتب الأول، غير الشقيقة، وزوجة الملك تحوتمس الأول، ولكنها أيضاً «حفيدة ملك وأم ملكة»، فهي حفيدة ملك من ملوك الدلتا الليبيين في عهد أحمس الأول، ذلك أن أمها «أنحابي» وُصفت في حجر باليرمو (المرجع السابق) بأنها «ابنة ملك»، كما إنها، أي الأميرة أحمس خنت تمحو نفسها، أصبحت بعد ذلك أم ملكة هي حتشبسوت، حيث اقترنت الأميرة أحمس

بالملك تحوتمس الأول، وأنجبا حتشبسوت خليلة آمون، التي أصبحت الملكة الخامسة في الأسرة الثامنة عشرة (حكمت بعد وفاة زوجها الملك تحتمس الثاني، وأصبحت وصية على الملك تحتمس الثالث لصغر سنّه). وقد روت الملكة حتشبسوت قصةً نُقشت على معبدها في دير البحري، تقول أن الإله آمون اقترن بأمها أحمس (أي أميرة التمحو) فأنجبا حتشبسوت نفسها، وهذه القصة نوع من تكريس حكمها بوصفها ملكةً وابنة إله، حتى لا ينظر إليها شعبها على أنها مجرّد وصية على العرش ينتهي دورها إذا أدرك تحتمس الثالث سن البلوغ.

كُتب اسم أحمس أميرة التحنو بأشكال كثيرة، منها كما يقول نيوبيري نقش أورده ماسبيرو (Maspero, *Les Momies royales*, p. 543):

ونقش آخر نقله دارسي (Daressy, *Ann. Serv.*, ix, p. 95.):

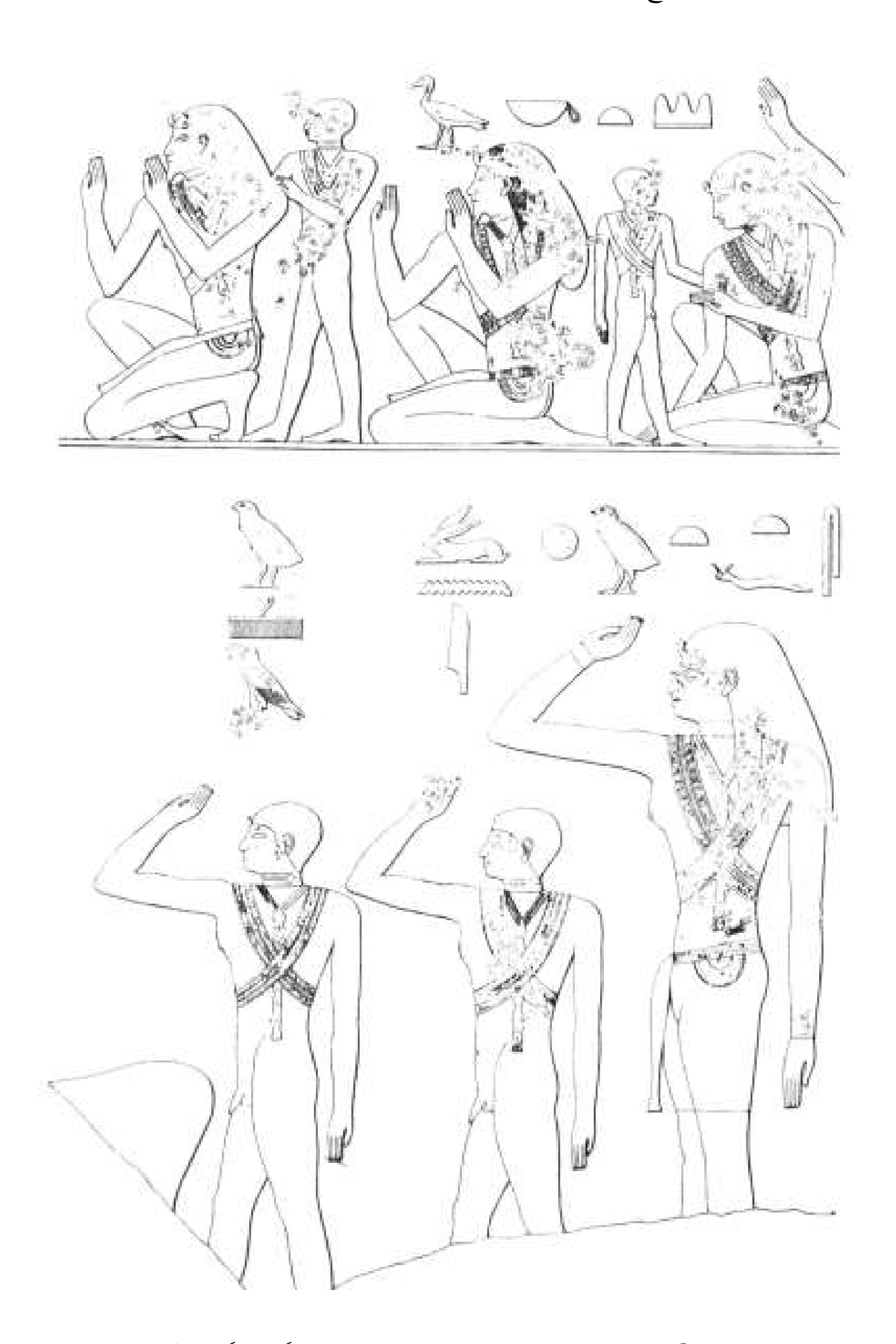
ونقش ثالث نقله ليبسيوس (Lepsius, *Denkmaler*, iii, 2, a.):

ثمة ملاحظة يثيرها رسم الأميرة كما حفظته آثار دير البحري، فهو من الشواهد القليلة التي تعرض أفراداً من الأسر الملكيّة المصرية من ذوي البشرة السوداء، وفي هذا دليل واضح على تمازج الأجناس والأعراق في مصر، لا في النسيج السكاني في وادي النيل فحسب، بل وفي الأسر الملكية كذلك. على إن اسم التمحو الذي تنتسب إليه عن طريق أمها أنحابي اسم مزدوج الدلالة في اللغة المصرية القديمة حيث يدل على التمحو (الليبيين) والنحسو (النوبيين) معاً، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد ما إذا كانت أحمس هذه ليبية الأصل أم نوبية، أو لعلّ السؤال بهذه الطريقة خطأ من أساسه، إذ إن التمحو في الحقيقة كانوا من الأقوام التي تنقّلت عبر رقعة شاسعة تمتد من غرب الدلتا شمالاً حتى الشلال الثالث جنوباً، وتوطّنت أجزاء عديدة من هذا الامتداد الجغرافي في الواحات وبالقرب من مصادر الماء.



لوحة 1: خنت تمحو (أميرة التمحو)، عن نيوبيري (مجلة مصر القديمة، الجزء الثالث، 1915)، وهي صورة نقلها هاورد كارتر H. Carter عن معبد دير البحري.

يقول نيوبيري (المرجع السابق) عن ذلك: «من المؤكّد أنها من شعب التمحو في الشمال [أي الدلتا]. ومما يؤكد أصلها «الليبي» أن ابنتها الملكة حتشبسوت كانت ترتدي زياً رجالياً، وهذا من تقاليد الليبيين في تمييز الزعماء... كما في نقوش سا.حو.رع التي تظهر فيها المرأة الزعيمة بلباس رجل، أو كما في نقوش مدينة هابو حيث تظهر امرأة ترتدي إزاراً رجالياً (Bates, *The Eastern Libyans,* 1914, p. 113)» (لوحة 2)، لكن تحديد هوية الأميرة آخر الأمر لا يحتاج إلى هذه الأدلة الإضافية، كما هو الحال بالنسبة إلى إثبات التمازج السكاني القديم والانصهار بين الشعوب والأقوام الأفروآسيوية على امتداد وادي النيل وجنوبه وغربه.



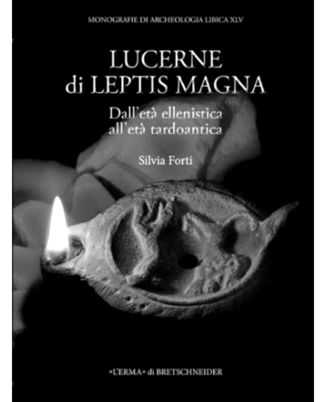
لوحة 2: نساء ورجال (يرجّح أنهم ليبيون) يرتدون نمطاً واحداً من الأزياء
عن *Borchadt's Grabdenkmal des Königs Sahu-re*.
أوردها Newberry, *Ta Eehenu - Olive Land*, Ancient Egypt, part III, 1915

إصدرات جديدة

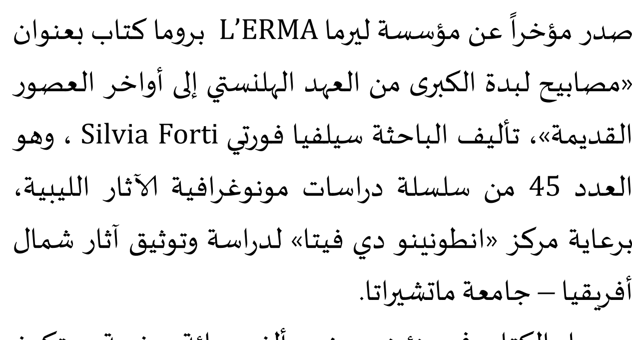
مصابيح لبدة الكبرى

من العهد الهلنستي إلى أواخر العصور القديمة

تأيف: سيلفيا فورتي



Lucerne di Leptis Magna Dall'età ellenistica all'età tardoant



صدر مؤخراً عن مؤسسة ليرما L'ERMA بروما كتاب بعنوان «مصابيح لبدة الكبرى من العهد الهلنستي إلى أواخر العصور القديمة»، تأليف الباحثة سيلفيا فورتي Silvia Forti ، وهو العدد 45 من سلسلة دراسات مونوغرافية الآثار الليبية، برعاية مركز «انطونينو دي فيتا» لدراسة وتوثيق آثار شمال أفريقيا – جامعة ماتشيراتا.

جاء الكتاب في جزئين من نحو ألف ومائة صفحة، ويتكون من ستة فصول، باللغة الإيطالية، مع موجز مقتضب بالعربية. يعرض الكتاب، بأكثر من 2000 نموذج، بانوراما ذات أهمية استثنائية في ما يتعلق بالمصابيح الطينية في مدينة لبدة الكبرى، وهي مجموعة فريدة وسليمة من المصابيح، متنوعة الأنماط، وثرية من حيث تكوينها الأيقوني والنقشي، بالإضافة إلى أنها تغطي نطاقاً زمنياً واسعاً يمتد من العصر الهلنستي إلى العصر القديم المتأخر.

كما قدّم الكتاب صورة اجتماعية واقتصادية عريضة عن الواردات والإنتاج المحلي وتوزيع وتداول هذه الفئة من المواد في أفريقيا، وفي منطقة البحر المتوسط بشكل عام.

عرضت المؤلفة مصابيح الزيت حسب أنواعها مرتبة زمنياً ووفق منطقة إنتاجها، وذلك لتسهيل فهم تفاصيلها التصنيفية والكرونولوجية، وقدمت تحليلاً وافياً يعرض الأجسام الطينية والعناصر النقشية الموجودة على المصابيح، بطريقة واضحة تتيح للقراء التعرف بدقة على مختلف المواقع التي أُنتجت فيها، وعلى أساليبها ومراحل تطويرها وطرق انتشارها، سواء المستوردة منها أو المحلية الصنع.

تصنّف مجلة آجال هذا الكتاب كأفضل مرجع بحثي في دراسة المصابيح الزيتية في ليبيا القديمة وشمال أفريقيا حتى الآن.

صيّادو الجبل

أركيولوجيا الجبل الغربي

من العصر البليستوسيني الأخير إلى العصر الهولوسيني المبكر

تحرير: باربرا إ. باريش

صدر مؤخراً عن دار ليرما L'ERMA الإيطالية كتاب «صيادو الجبل، أركيولوجيا الجبل الغربي، من العصر البليستوسيني الأخير إلى العصر الهولوسيني المبكّر»، تحرير الباحثة باربرا باريش B. E. Barich.



Hunters of the Mountain
The Archeology of Jebel Ghar-bi

يغطي الجبل الغربي (جبل نفوسة) الحزام تحت السطحي المحيط بطرابلس، ويشكل حلقة وصل بين ساحل البحر الأبيض المتوسط والصحراء الكبرى. ويحتفظ الجبل ببقايا المزارع الرومانية المرتبطة بسلسلة التخوم الطرابلسية الرومانية وكانت تتميز بمواقع عسكرية على امتداد طريق القوافل من الساحل إلى القريات وبونجم وغدامس ثم تتجه إلى الشمال نحو قابس في تونس وتمتدّ غرباً. وتحافظ الهندسة المعمارية المحلية على بقايا آثار المدن البربرية القديمة، وهي أكروبولات صغيرة تطفو على هذا الجبل المكون من الحجر الجيري.

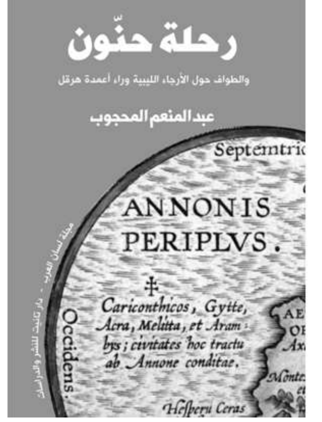
يجمع كتاب «صيادو الجبل» لأول مرة أهم نتائج الأبحاث التي أنجزها المشروع الليبي-الإيطالي المشترك الذي دشنته باربرا إي. باريش في أوائل التسعينيات، وخاصة إعادة بناء أقدم المستوطنات البشرية في الجبل، وهي جزء من تسلسل عصور ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا.

ويوضح الكتاب مظاهر وأنماط الاستيطان القديم في شمال غرب ليبيا حيث تركت مجموعات الصيادين وجامعي الثمار آثارها على الجبل الغربي على امتداد الأنهار الرئيسية التي عرفتها المنطقة في العصور القديمة: وادي العين الزرقا، وادي غان، وادي غناون. وحيث شكّل الصيادون وجامعو الثمار المرتبطون بمجموعات أخرى من العصر الحجري القديم في شمال أفريقيا، الأساس الذي تكونت عليه مجتمعات العصر الحجري الحديث وعصر فجر التاريخ Protohistoric في ليبيا.

رحلة حنّون

والطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل

تأليف: عبدالمنعم المحجوب



غلاف رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية

صدرت مؤخراً عن دار تانيت طبعة جديدة من كتاب «رحلة حنون، الطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل»، تأليف الباحث عبدالمنعم المحجوب.

جاء في مقدمة المؤلف: «بوضع رحلة حنون في إطارها التاريخي نعرف أنها مثّلت تعويضاً عن خسارة الحرب مع الإغريق في هميرا، وهي بالتالي جزء من سعي قرطاج الدؤوب إلى التوسّع وبسط النفوذ على أراضٍ جديدة، وبعبارة أخرى: تأسيس المزيد من الأسواق وتأمين مصادر اقتصادية جديدة. أي إن الأسباب التي أخرجت الفينيقيين من صور إلى قرطاج، هي نفس الأسباب التي أخرجت أبناءهم من قرطاج إلى هميرا، ثم أخرجتهم إلى سواحل غرب أوروبا وسواحل غرب إفريقيا التي عرّف نصُّ رحلة حنون العالم القديم عليها للمرة الأولى ».

ثم يضيف عن عدم الإشارة إلى رحلة حنون في تواريخ هيرودوت: «لا أرى سبباً وراء ذلك إلا كون هيرودوت قد كان معاصراً لحنّون ولكنه مات قبل أن يقوم الأخير برحلته، أي إنه لم يطّلع على الترجمة اليونانية التي نقلت النص القرطاجي. لقد ولد هيرودوت على ساحل آسيا الصغرى حوالي عام 484 ق.م ومات حوالي 424 ق.م في جنوب إيطاليا. فإذا صحّ تاريخ وفاته يكون قد مات قبل سنة من قيام حنون برحلته البحرية هذه».

قدّم المؤلف في هذا الكتاب مساهمة سعى من خلالها إلى التوفيق بين أسماء المدن الليبوفينيقية التي أسّسها حنون في رحلته هذه على الساحل الأطلسي وأسمائها الجغرافية كما عُرفت بها، وهو يعقّب على ذلك قائلاً: «لا يبدو التوفيق بدقة بالغة بين أسماء المدن الليبية الفينيقية الجديدة في جغرافيا الرواية والمواقع التاريخية أو القائمة الآن في الجغرافيا الواقعية أمراً ممكناً بشكل نهائي. إن ما يجب القبول به - بشكل عام - هو أن هذه الرحلة تُخفي حقاً أكثر مما تُظهر فعلاً».

اختصارات التوثيق في آجال Abbreviations used in AJAL

Et cetera	Etc.	إلخ.	إلى آخره
Id est	i.e.	أي	أي
Anno Domini	a.d.	ب.م.	بعد الميلاد
Editor	ed.	ح.	تحرير، محرّر
Translation	trans.	ت.	ترجمة، تعريب
Part	pt.	ج.	جزء
No date	n.d.	د.ت.	دون تاريخ
Number	no.	ر.	رقم
Common Era	c.e.	ز.ح.	الزمن (العصر) الحالي
Figure	fig.	ش.	شكل
Page	p.	ص.	صفحة
Edition	ed.	ط.	طبعة
Second Edition	2nd ed.	ط.2	الطبعة الثانية
Revised edition	Rev. ed.	ط. ن.	طبعة منقحة
Paragraph	para.	ف.	فقرة
Confer	Cf.	قا.	قارن
Before Common Era	b.c.e.	ق.ح.	قبل الزمن الحالي
Before Christ	b.c.	ق.م.	قبل الميلاد
Section	sect.	ق.	قسم
Exempli gratia	e.g.	مثال	مثال
Volume	vol.	م.	مجلد
Ibidem	Ibid.	م. س.	مرجع سابق
Supplement	suppl.	ملحق	ملحق، تكملة
Et alii, et aliae	et al.	وآخرون	وآخرون
Videlicet	viz.	أي	يعني، بكلمات أخرى

اصطلاحات يُفضّل استخدامها في مجلة آجال، تعريباً واختصاراً:

- **الحَجَرِيم** في مقابل «باليوليثيك» Paleolithic (العصر الحجري القديم).
- **الحجرِين** في مقابل «ميزوليثيك» Mesolithic (العصر الحجري البيني أو المتوسط).
- **الحجريد** في مقابل «نيوليثيك» Neolithic (العصر الحجري الجديد أو الحديث).